ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

Poetry for Islamic occasions in Fatimid Egypt. an Objective Examination.

PhD. Alaa Saied Abdallah Ali Elbalkimy
Department of Arabic Language and Literature Faculty of Women for Arts, Science & Education, Ain Shams University – Egypt.
Alaa.s.abdallah@women.asu.edu.eg
Prof. Hassan Ahmed Al-Bendary
Professor of Rhetoric and Literary Criticism, Department of Arabic Language and Literature - Faculty of Women for Arts, Science & Education - Ain Shams University – Egypt
hassan5@yahoo.com
Prof. Amina Mohammed Gamal El-Dein
Assistant Professor of Ancient Literature, Department of Arabic Language and Literature
Amina.gamaleldin@women.asu.edu.eg
Dr. Fatma Mezar Batea
Teacher of Ancient Literature, Department of Arabic Language and Literature Faculty of Women for Arts, Science & Edu, Ain Shams University – Egypt
Fatma.mezar@women.asu.edu.eg

Receive Date: 10 October 2023, Revise Date: 31 October 2023
Accept Date: 2 November 2023.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2023.241764.1577
Volume 4 Issue 1 (2024) Pp.159- 184

Abstract

One of the most important and prominent topics that many poets wrote, innovated and excelled in is Islamic occasions in Fatimid Egypt. Its importance is concentrated in historical, religious and social connotations that have contributed to the identification of many features of the Fatimid era, which have been overlooked by many historical sources. They were divided into general Islamic and Shi 'ite occasions, celebrated as a means of calling to the Ismaili Shi' ite doctrine, and approaching the Egyptian people, who are known for their great love for the Prophet's Family, peace and blessings be upon him. The successors participated in them, held major ceremonies and mega-processions, and spent much money in them; To revive the prestige of the Fatimid state in the hearts of its enemies, so that no one can fight against it or think of its invasion. On the other hand, the poetry recited on those occasions also showed how the literary side had developed, and that poets were capable of describing social occasions accurately according to what was mentioned in historical sources. Their poetry became a rich, flowing source of events that depicted the details of Fatimid society, in addition to the development of poetry through the ability of poets to use artistic aspects to serve the issues they address and express, religious and social aspects of the poetry of Islamic occasions in the Fatimid era.

***Keywords*:** Occasions, Poetry, Islamic, Fatimid.

شعر المناسبات الإسلامية في مصر الفاطمية ..دراسة موضوعية

آلاء سعيد عبدالله علي
باحثة دكتوراه-مدرس مساعد
الدراسات الأدبية والنقدية(أدب قديم)-قسم اللغة العربية وآدابها
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية-جامعة عين شمس
Alaa.s.abdallah@women.asu.edu.eg

أ.د/ حسن أحمد البنداري
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي
كلية البنات جامعة عين شمس، مصر
Dr_hassan5@yahoo.com

أ.م.د/ أمينة محمد جمال الدين
أستاذ مساعد الأدب القديم
كلية البنات جامعة عين شمس، مصر
Amina.gamaleldin@women.asu.edu.eg

د/ فاطمة ميزار باتع
مدرس الأدب القديم كلية البنات جامعة عين شمس، مصر
Fatma.mezar@women.asu.edu.eg

المستخلص:

تعتبر المناسبات الإسلامية في مصر الفاطمية من أهم وأبرز الموضوعات التى كتب فيها كثير من الشعراء، وتوقدت قرائحهم فيها؛ وتتركز أهميتها فيما اشتملت عليه من دلالات تاريخية ودينية واجتماعية ساهمت في التعرف على كثير من ملامح العصر الفاطمي، التي غفل عنها كثير من المصادر التاريخية؛ وقد انقسمت إلى مناسبات إسلامية عامة، ومناسبات شيعية، كان الاحتفال بها وسيلة من وسائل الدعوة إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي، والتقرب للشعب المصري -المعروف بحبه الجم لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم- وقد شارك فيها الخلفاء، وأقاموا لها المراسم الكبيرة والمواكب الضخمة، وأنفقوا فيها الأموال الكثيرة؛ لبعث هيبة الدولة الفاطمية في نفوس أعدائها فلا يقوى أحد على محاربتها، أو التفكير في غزوها؛ كما أظهرت الأشعار التي قيلت في تلك المناسبات، ازدهار الناحية الأدبية، وقدرة الشعراء على وصف الأحداث الاجتماعية وصفا دقيقا يتفق وما ذكر في المصادر التاريخية، إضافة إلى تطور الشعر من خلال قدرة الشعراء على توظيف الجوانب الفنية لخدمة الموضوعات التي يطرقونها ويعبرون عنها؛ فأصبحت أشعارهم بذلك ينبوعا غنيا متدفقا بالأحداث التي تصور تفاصيل المجتمع الفاطمي، والبحث يتناول نماذج من شعر المناسبات الإسلامية في العصر الفاطمي على سبيل المثال لا الحصر، وذلك باتخاذ المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى السمات الموضوعية والدلالات التاريخية والدينية والاجتماعية التي تميز بها شعر المناسبات الإسلامية في العصر الفاطمي.

الكلمات الدالة: المناسبات، شعر، الإسلامية، الفاطمي.

مقدمة

كانت الدولة الفاطمية من أهم الحقب التاريخية التي توالت على مصر الإسلامية، اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وأدبيا؛ لما حظيت به من مكانة جعلت القاهرة في عهدها كبغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقد أظهر الفاطميون البذخ للرعية منذ أن بدأ حكمهم لمصر، واستحدثوا كثيرا من المناسبات والاحتفالات إضافة إلى الأعياد لعدة أسباب منها: الدعاية لمذهبهم (المذهب الشيعي الإسماعيلي)، وصرف الناس عن السياسة، ونكاية في العباسيين؛ إذ كانت مصر تحت رايتهم قبل مجيء الفاطميين.

وقد تنوعت المناسبات في مصر الفاطمية بين مناسبات دينية وسياسية واجتماعية، كما أن صفة الأعياد في عهدهم لم تتوقف على عيدي الفطر والأضحى، بل شملت الكثير من المواسم الإسلامية، وأعياد النصارى؛ حيث كان الخلفاء الفاطميون يشاركونهم أعيادهم كمظهر للتسامح الديني عندهم.[1]

وكانت لهذه الأيام والمناسبات تقاليد، حيث يخرج الخليفة في معظمها إلى العامة ويحتفل معهم، ويوزع العطايا على رجال دولته، وعلى الرعية، ويجتمع الناس في الطرقات، ويأتي الأدباء لعرض ما جادت به قرائحهم، فيمدحون الخليفة، ويصفون المناظر، ويتم الحكم على شعرهم من خلال مجموعة من النقاد، وكان الأديب المجيد يكافأ من قبل الخلفاء ورجال الدولة الذين كانوا يتذوقون الشعر والنثر، ويشجعون الشعراء ويجزلون لهم العطايا، وقد أثر كل هذا في الحياة الأدبية، والنقدية، والاجتماعية[2] ؛ فالمطالع لشعر المناسبات في العهد الفاطمي يرى صورة المجتمع في ذلك الوقت، وكأن الحضارة التي أقامها الفاطميون في مصر تمثل أمام عينيه، كما يلمح تطور الذوق الأدبي والنقدي من خلال أحكام النقاد، ويشم عبق الطبيعة الخلابة، ويلمس براعة الفاطميين في تعمير مصر، وإقامة المناظر والحدائق والمعمار الذي لا زالت آثاره باقية حتى يومنا هذا؛ ومن ثم كان شعر المناسبات لا سيما المناسبات الإسلامية مجالا رحبا للشعراء في العهد الفاطمي؛ إذ تباينت أحاسيسهم فيها، وانقسمت إلى مناسبات إسلامية عامة وأخرى إسلامية تختص بالمذهب الشيعي؛ وتجلت أهمية ذلك الشعرالخاصة في توثيقه للعادات الاجتماعية، وملامح الحياة الدينية والمذهبية، وأثره في مجالس الأدب وتشجيع الأدباء وتنافسهم، وتطور النقد، واستغلال رجال الحكم والسلطة الأدباءَ لإقناع العامة بمذهب الفاطميين مما شجعني على تناوله بالبحث والدراسة.

وبعد اطلاعي على الدراسات السابقة لم أجد أي دراسة تناولت شعر المناسبات الإسلامية في مصر الفاطمية، لبيان الدلالات الموضوعية فيه، لكن ثمة دراسة يمكن الإفادة منها وهي:

محمد، عبدالحليم رضا كريم(2019م) شعر الأعياد والمناسبات الاجتماعية في العصر الفاطمي: قراءة في المضمون، مجلة دراسات تربوية-بغداد، ع46.

وهي مقالة بحثية في ثلاث عشرة صفحة تتناول بعض شعر المناسبات والأعياد من الناحية الموضوعية فقط دون الفنية.

وتتكون الدراسة من مقدمة تشتمل على تقرير مشكلة البحث، وشرح أهميته، والدراسات السابقة عليه، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، وحدوده، ومحتواه.

---

(1)ينظر: سلام، محمد زغلول، د.ت، الأدب في العصر الفاطمي:الكتابة والكتاب، منشأة المعارف-الإسكندرية، د.ط، 136-144.

(2)ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 1418 هـ ، دار الكتب العلمية،-بيروت، ط1 ، 319/2وما بعدها.

وتمهيد تناول المعنى اللغوي والاصطلاحي لشعر المناسبات؛ وموضوع الدراسة: وهو شعر المناسبات الإسلامية الذي انقسم إلى مناسبات إسلامية عامة وأخرى فاطمية.

وخاتمة: وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

تمهيد:

المناسبة في اللغة: المشاكلة وهي من الفعل نسب، قال ابن منظور:" النَّسَبُ: نسبُ القرابات، وهو واحد الأنساب...وقيل: النِّسْبَةُ مصدرُ الانْتِسابِ؛ والنُّسْبَةُ: الاسمُ...والنَّسَبُ يَكُونُ بالآباءِ، ويكون إلى الْبِلَادِ، وَيَكُونُ فِي الصِّناعة...ويَنْسُبُه ويَنْسِبُهُ نَسَباً: عَزاه"[1] والنسبة تعني القرابة[2] وهذا المعنى يوضح أن المناسبة تعني لزوم شيء بآخر؛ فهي ترتبط بحدث تعبر عنه وتدل عليه؛ وهي مصدر ناسب وتعني الحفلة أو الاجتماع أو العرس أو المأتم أو غير ذلك، كما أنها تطلق على ما يلقى في المناسبات من خطب وقصائد في التهنئة والتعزية ونحو ذلك.[3]

ويعرف شعر المناسبات اصطلاحا بأنه"كل شعر اقترن بمناسبة دينية أو وطنية أو قومية"[4]؛ وهذا المفهوم لا يعبر عن غرض أدبي بقدر ما يعبر عن اتجاه نقدي، اختاره النقاد المحدثون بعد استقراء للأدب قديما وحديثا لا سيما الشعر؛ فالغرض الشعري لأدب المناسبة قد يكون في المدح أو الوصف أو الحماسة أو الفخر أو غير ذلك، لكنه يحمل بين طياته ما يدلل على مناسبة اجتماعية أو دينية أو قومية.

وللمناسبات في مصر الفاطمية أهمية كبيرة لا سيما الإسلامية منها؛ فهي تبين اعتماد الفاطميين عليها كإطار للدعوة إلى مذهبهم الشيعي الإسماعيلي في استغلال واضح لها لحشد الناس حولهم، والدعاية لهم، وقد انقسمت المناسبات الإسلامية إلى مناسبات إسلامية عامة هي عاشوراء والمولد النبوي ورمضان والحج والعيدين، وأخرى فاطمية تمثلت في عيد الغدير.

أولا: المناسبات الإسلامية العامة:-

أ-عاشوراء:-

لم يكن الاحتفال بيوم عاشوراء جديدا في العهد الفاطمي، حيث كان الشيعة الموجودون بمصر في عهد الدولتين الإخشيدية والطولونية يحتفلون به[5]، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي[6] رضي الله عنه، واتخذه الشيعة مناسبة لإحياء ذكراه، والحادثة بطولها مذكورة في كتب التراجم والتاريخ.[1]

(1) ابن منظور(ت: 711هـ)، محمد بن مكرم بن علي،(1414 هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 755/1 بتصرف.
(2)ينظر: ابن سيده(ت:458هـ)، أبو الحسن علي بن إسماعيل،(1421هـ- 2000 م)، المحكم والمحيط الأعظم، ت:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 529/8.
(3) ينظر: عمر، أحمد مختار،(1429 هـ - 2008 م)معجم اللغة العربية المعاصرة،عالم الكتب، ط1، 2199/3.
(4) الماجد ، نجاة، (4فبراير2015)، شعراء المناسبات ، mawdoo3.com، زرت الصفحة22مارس2021.
(1) ينظر: كاشف، سيدة، (1950م)، مصر في عهد الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول-القاهرة، 333؛ مبارك، علي، (1435ه-2014م)، الخطط التوفيقية، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، 232/1.
(2) الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة الزهراء، وفي الحديث: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين، وقتل يوم عاشوراء من أتباع الأمويين؛ الزركلي، خير الدين (ت: 1396هـ)، (2002 م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 243/2.

وكانت للاحتفال بيوم عاشوراء عادات خاصة به[2] تبرهن على أهمية تلك الحادثة عند الخلفاء الفاطميين، كما يبين أن إنتاج الشعراء في الشعرمن حيث اقتصادهم أوإسهابهم فيه يتوقف على مذهب الوزير، فإن كان شيعيا كان في الشعر الغلو، وإن كان سنيا اقتصدوا؛ لأن الأصل في عاشوراء عند السنة يختلف عن الأصل فيها عند الشيعة، لأن السنة يصومونه تقربا لله وامتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد أنه لما "قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟، قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: (فأنا أحقُّ بموسى منكم)، فصامه، وأمر بصيامه"[3]، أما الأصل والمشتهر عند الشيعة في يوم عاشوراء هو الحزن لمقتل الحسين عليه السلام، والقيام بمظاهر الحزن كلها؛ وقد أبدع الشعراء الفاطميون في التفاعل مع تلك المناسبة إذ رسموا المشهد كاملا في أشعارهم، وفي طليعتهم يقول تميم بن المعز[4]:

ثــوتْ لِــيَ أسْــلافٌ كــرامٌ بِكَــرْبلاَ ... هُــمُ لثَغْــور المسلمــينَ سِــدَادُ
أصــابتهمُ مــن عبــدِ شــمسٍ عــداوةٌ ... وعاجَلَــهم بالنــاكثِين َحَصَــادُ
فكيــفَ يلــذّ العــيشُ عفــوًا وقــد سـطَا ... وجــارَ علــى آلِ النبــيّ زِيــادُ؟
وقــتَّلهمْ بغيًــا عُبَيــدٌ وكــادَهمْ ... يزيــدُ بــأنواعِ الشــقاءِ فبــادُوا
بثــاراتِ بــدرٍ طــالبَوهم ومكّــةٍ ... وكــادوهُمُ والحــقُّ لــيس يُكــادُ
فحُكِّمــت الأســيافُ فــيهم وسُــلِّطت ... علــيهم رِمــاحٌ للنفــاقِ حِــدَادُ
فكــم كُرْبــةٍ فــي كــربلاءَ شديــدةٍ ... دهــاهُمْ بهــا للنــاكثِين كِيــادُ
فمــاتوا عِطاشــاً صــابرين علــى الــوغَى ... ولــم يَجْبُنُــوا بــل جالــدَوا فأجــادوا
وكــمْ بأعــالي كــربلا مــنْ حفــائرٍ ... بــها جُثَــثُ الأبــرارِ لــيس تعــادُ
فلهفــي علــى قتــلِ الحســينِ ومسـلمٍ ... وخِــزيٌ لمــن عاداهمــا وبِعــادُ
ولهفــي علــى زيــدٍ وبَثّــاً مــردَّداً ... إذا حــانَ مــن بَــثّ الكئيــب نفــادُ
ألا كبِــدٌ تفنَــى علــيهمْ صَــبَابة ... فيَقْطُــرَ حُزْنــاً أو يــذوبَ فــؤادُ
ألا مُقْلَــة تَهْمِــي ألا أذَنٌ تعــي ... أكُــلُّ قلــوب العالميــن جَمَــادُ
تُســاق علــى الإرغــامِ قَسْــرا نِســاؤُهم ... سبايــا إلــى أرضِ الشــآمِ تقــادُ
يُسَــقن إلــى دارِ اللعِــينِ صــواغِرًا ... كمــا سِــيقَ فــي عَصِــفِ الريــاحِ جــرادُ
كــأنهمُ فَــيْءُ النصــارى وإنهــمْ ... لأكْــرمُ مَــن قــد عــزَّ منــه قِيــاد
يعِــزَّ علــى الزهــراءِ ذِلّــةَ زينــبٍ ... وقتــلُ حســينٍ والقلــوبُ شِــداد

(3) ينظر: الذهبي، شمس الدين (ت: 748هـ)، 1427هـ-2006م ، سير أعلام النبلاء، (دار الحديث- القاهرة)، د.ط، 510/4.عنه، فأوى إلى دار امرأة من كندة فأخفته، ولم يلبث أن عرف مكانه فقبض عليه ابن زياد وقتله، وفي الكوفة إلى الآن ضريح يقال إنه قبره الذي دفن فيه، وهو معروف باسمه. السابق، 222/7.

(4) ابن الطوير(ت617ه)، المرتضى عبدالسلام بن الحسن القيسراني، 1412ه-1992م، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، ت: أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتاينر شتو تغارت؛ دار صادر-بيروت، ، ط1، 223وما بعدها.

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 44/3.

(6) الفاطمي، تميم بن المعز، 1957م، ديوان تميم بن المعز، ت: محمد حسن الأعظمي، دار الكتب المصرية- القاهرة، 117؛ وتميم بن المعز لدين الله الفاطمي، شاعر أمير، كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، فربي في أحضان النعيم، ومال إلى الأدب، فنظم الشعر الرقيق، وكان فاضلا، لم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه نزار، وتوفي بمصر؛ ينظر: الزركلي، الأعلام، 88/2.

وَقَــرْع يزيــدٍ بالقضيـــــــب لِســنِّه لقــد مَجَسَــوا أهــلُ الشــآم وهــادوا
ســـأبكيكمُ يـــا ســـادتي بمـــدامعٍ غـــزارٍ وحــزنٍ لــيس عنــه رقــادُ
ســـقى حُفَـــرا وارتكُـــمُ وحَـــوَتْكُمُ مـــن المســـتهلاَّت العـــذابِ عِهـــادُ

يتحدث تميم بن المعز بوله وحزن يجسد بهما الموقف شعرا، فيؤكد بداية من خلال ضمير المتكلم على قرابته من آل البيت وأنهم أسلافه ذووا المكانة الرفيعة ورفاتهم متروك في كربلاء، مؤكدا على مكانتهم فهم من تسد بهم ثغور المسلمين، ثم يذكر ما حدث داعيا النسب الأموي بأصله عبد شمس جد الخلفاء الأمويين، مجملا ما حدث في معركة كربلاء من عبيد الله بن زياد الذي ناداه تارة باسمه وأخرى باسم أبيه تنديدا بما فعله من قتل وظلم لآل بيت النبي بأمر من يزيد بن معاوية، مريدا من ذلك تصوير الأمر وكأنه ثأر قديم منذ ما حدث في غزوة بدر من قتل لأمية بن خلف جد بني أمية.

والحق أن الشاعر استطاع استخدام أدواته الفنية للتعبير عن الحالة الشعورية التي يشعر بها؛ فقد استنكر ما حدث لآل البيت استنكارا يدعو للحسرة في قوله:(فكيف يلذ العيش)، وأتى بصيغة المبالغة (قتّلهم) ثم بالماضى الذي جاء في صدر البيت، ورد عليه عجزه في قوله:(وكادهم....والحق ليس يكاد) كل هذا ليؤكد على الظلم الذي تعرض له آل البيت، ويستمر الشاعر ساردا الحدث التاريخي في استدعاء لما ذكره الحسين عليه السلام حين قال لما علم باسم كربلاء: كرب وبلاء، ذاكرا استشهاد الحسين عليه السلام ومن معه من آل بيت النبي مستنكرا ما لاقوه في صمت ممن حولهم، وحتى منعوا الماء عنه وقتل كل من كان معه ولم ينج إلا بضعة نفر مع عبيد وإماء لهم، وسيقت النساء من الكوفة إلى الشام عند يزيد بن معاوية، وقد ساهم في التعبير عن هذا الموقف باختيار الفعلين(تساق-تقاد) حيث يظهر المفارقة المعنوية، فعلى الرغم من مكانتهن إلا أنهن يتم اقتيادهن سوقا وقسرا؛ وهذه حالة تبعث على الشجن، فقد أخذن سبايا عنوة كأنهن فيء أخذ من النصارى ولسن مسلمات مكرمات من بيت النبوة، ثم يبكيهم الشاعر ويبكي ما حدث ذاكرا أن ما حدث يعز على الزهراء من ذلة لبناتها وقتل لأولادها، ثم يتلهف على آل البيت تلهف صاحب المصيبة، فبثه وحزنه لا يزولان أبدا حتى ولو (حان من بث الكئيب نفاد)، وفي استخدام لظاهرة التكرار للاستفهام (ألا كبد تفنى-ألا مقلة تهمى-ألا أذن تعي) يوبخ الشعر كل من وقف صامتا تجاه ما حدث في كربلاء،ويذكر نكث يزيد بن معاوية بالقضيب لأسنان الحسين عليه السلام، وأن سكوت أهل الشام على ذلك جعلهم بمكانة اليهود والمجوس، وفي الختام يوضح الشاعر أن حزنه ليس له فيه سلوى ولن يرقأ له جفن معه، ويختم بالدعاء لهم بالسقيا وهو دعاء متعارف عليه منذ الشعر الجاهلي.

لقد عبرت الأبيات السابقة عن حزن الشاعر، وجسدت المعاني صدق عاطفة الشاعر من خلال قدرته على استخدام الأدوات الفنية، وشعور الشاعر القوي بانتمائه لآل البيت.

وفي نفس المضمار وعلى نفس الوتيرة يبكي الشاعر عبدالمحسن الصوري[1] العترة الطاهرة في ذكر يوم عاشوراء قائلا[2]:-

كمــا جــاءَ يــومٌ فــي المُحــرَّمِ واحــدٌ خَبــا نُــورُه لمَّــا اســتُحلّت مَحارِمــهْ

(1) أبو محمد عبدالمحسن بن محمد بن الصوري العاملي، شاعر مطبوع من أهل الشام، من الشيعة الإمامية وشعره كثير في آل البيت، وقد مدح بعض الخلفاء الفاطميين؛ ينظر: الأمين، السيد محسن، 1935م، أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون-دمشق، ط1، 94/8.

(2) الصوري، عبدالمحسن بن محمد بن أحمد (ت:419ه)، 1401ه-1981م، الديوان، ت: مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، دار الرشيد للنشر، ط1، 37/2؛ وعبدالمحسن الصوري هو أبو محمد عبدالمحسن بن محمد بن الصوري العاملي، شاعر مطبوع من أهل الشام، من الشيعة الإمامية وشعره كثير في آل البيت، وقد مدح بعض الخلفاء الفاطميين؛ ينظر: الأمين، السيد محسن، 94/8.

طَغَــت عبــدُ شــمسٍ فاســتَقلَّ محلِّقــاً ... إلــى الشَّــمسِ مــن طُغيانِهــا مُتراكمــهْ
فمــن مبلــغٌ عنِّــي أميَّــةَ أنّنــــــي ... هَتفــتُ بِمــا قَــد كنــتُ عَنهــا أكاتِمــهْ
مضَــت أعصُــرٌ مُعوجَّــةً باعوِجــاجِكُم ... فَــلا تُنكــرُوا إن قــوَّم الــدَّهرَ قائِمــهْ
وجــدَّد عَهــدَ المُصــطَفى بعــضُ أهلِــه ... وحُكِّــمَ فــي الــدِّينِ الحَنِيفــيِّ حاكِمــهْ
فيــا لَــكَ مِنهــا دَولــــــــةً عَلويَّــةً ... تَبــدَّت بسَــعدٍ خــاتَمُ الــدَّهرِ خاتِمــهْ

في الأبيات السابقة يعبر الشاعر عن أثر ماحدث على الكون كله، فالشمس غطى نورها طغيان بني أميه وما فعلوه، ويبوح بمكنون صدره تجاه بني أمية **في استدعاء للدهر** مع مفهوم المخالفة يوضح الشاعر أن العوج الذي أصابوا به الدهر سيقيمه آل البيت، وزاد من تأكيد هذا المعنى تكرار الجذرع و ج في لفظتين اثنتين سبقهما جمع الجمع(أعصر) ليعبر عن مدى العوج الذي أصاب المجتمع بسبب اعوجاج بني أمة، ثم ينفذ من خلال ذلك إلى مدح الفاطميين، وكأن الزمان ثوب أصابه البلى فجدده آل البيت -وهم حقيقون بهذا في نظر الشاعر-وحكم صاحب الحكم الجدير به وهو الخليفة الفاطمي صاحب الخلافة العلوية التي جاءت بالسعد والبشر للزمان كله، وختمته بختمها؛ في إشارة إلى أثر تلك الخلافة عن طريق الصورة الفنية التي شخصت الخلافة.

أما طلائع بن رزيك[1] فيندد بخذلان أهل الكوفة وقبائلها، ويصف تخليهم عن الحسين رضي الله عنه بعد دعوتهم له وإجابته، فلما دعاهم لنصرته خذلوه، ويرسم مشهد الحسين حين أراد أن يشرب وكلما هم بذلك رموه بالسهام لمنعه، ويندد الشاعر بأفعالهم وقتلهم للحسين ، وكيف يريدون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قتلوا سبطه، وهذا يذكر بما قاله أحد السلف"لو كنت فيمن قتل الحسين بن علي، ثم غفر لي، ثم أدخلت الجنة، استحييت أن أمر على النبي صلى الله عليه وسلم، فينظر في وجهي"[2]

ويعجب الشاعر ممن تركوا الحسين يفعل به هكذا، وإلى تسارعهم إلى حدوث ذلك القدر والمصاب الجلل، وهو متأثر هنا بالأثر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلا وتشريدا، وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم"[3]

ثم يقول الشاعر لبني أمية إن فعلكم هذا بئس الذريعة التي احتججتم بها حتى حكمتم؛ فيقول[4]:

منعَــــت لذيــــذَ المــــــاءِ منــــــهُ ... كتائــــــبٌ مــــــــنهمْ منيعــــــــهْ
قــــد أشــــــرعَت صــــم القنــــا ... فحمتــــــه مــــــن ورد شــــــروعهْ

(3) طلائع بن رزيك، الملقب بالملك الصالح، أبي الغارات: وزير عصامي، يعد من الملوك، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، قدم مصر فقيرا، فترقى في الخدم، وسنحت له فرصة فدخل القاهرة، بقوة، فولي وزارة الخليفة الفائز (الفاطمي) سنة 549 هـ واستقل بأمور الدولة، ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين. ومات الفائز سنة 555 هـ وولي العاضد، فتزوج بنت طلائع، واستمر هذا في الوزارة، فكرهت عمة العاضد استيلاءه على أمور الدولة وأموالها، فأكمنت لهجماعة من السودان في دهليز القصر، فقتلوه وهو خارج من مجلس العاضد، وكان شجاعا حازما مدبرا جوادا، صادق العزيمة عارفا بالأدب، شاعرا وكان لا يترك غزو الفرنج في البر والبحر، ولعمارة اليمني وغيره مدائح فيه ومراث؛ ينظر: الزركلي، الأعلام، 228/3.

(1) الطبراني، سليمان بن أحمد، (ت: 360هـ)، 1415 هـ - 1994 م ، المعجم الكبير، ت:حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2، ، 112/3.

(2) الحاكم، أبو عبدالله(ت: 405هـ)، 1411ه– 1990م، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم ت: مصطفى عبد القادر عطا-دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 534/4.

(3) ابن رزيك، طلائع، 1383ه-1964م، الديوان، جمع: محمد هادي الأميني، المكتبة الأهلية-النجف الأشرف، ط1، 92.

غـــــدرَت هنـــــاك ومـــــا وَفَـــــت ... مضـــــرُ العـــــراقِ ولا ربيعـــــةْ
لمـــــا دعْتـــــه أجابَهـــــا ... ودعـــــا فمـــــا كانـــــت سَـــــميعةْ
شـــــاعَ النفـــــاقُ بكـــــربلا ... فـــــيهمْ وقـــــالوا نحـــــنُ شـــــيعَةْ
هيهـــــاتَ ســـــاء صـــــنيعُهُم ... فيهـــــا ومـــــا عرَفـــــوا الصـــــنيعَةْ
يـــــا فعلـــــة جـــــاؤوا بهـــــا ... فـــــي الغـــــدرِ فاضـــــحة شـــــنيعةْ
خـــــابَ الـــــذي أضـــــحى الحســـــينُ ... لطـــــولِ شـــــقوتِه صـــــريعَةْ
أفـــــذاكَ يرجـــــو أن يكـــــونَ ... محمـــــدٌ أبـــــدا شـــــفيعَةْ
عجبًـــــا لمغـــــرورينَ ضـــــيعَ ... قـــــومُهُم بهـــــمُ الوديعَـــــةْ
ولأمـــــةٍ كانَـــــت إلـــــى ... مـــــا شـــــاءَ خالقُهـــــا ســـــريعَةْ
وغـــــدَت بحـــــقِّ نبيّهـــــا ... فـــــي حفـــــظِ عِترتِـــــه مُضـــــيعَةْ
أبنـــــي أميـــــة إن فعلَكُـــــمُ ... بهـــــمْ بـــــئسَ الذريعَـــــةْ

يعتمد الشاعر في أبياته السابقة على الأدوات الفنية من قافية مقيدة تصل إلى أعماق المتلقي، فيصله الشعور بالحزن المكبل الذي يفيض ألما وضيقا وحسرة، كما يستخدم الشاعر الماضي والجمل الفعلية في سرده لحادثة كربلاء في تدرج ذهني نفسي يصل بالمتلقي إلى التعاطف مع آل البيت والاستنكار لمن خذلوهم، فقد جاءت الجمل:(منعت لذيذ الماء -أشرعت صم القنا-حمته من ورد-دعا فما كانت سميعة-شاع النفاق بكربلا- خاب الذي أضحى الحسين صريعة-وغدت في حفظ عترته مضيعة) لتبين في سرد متتابع ما حدث في أرض المعركة، وفي قول الشاعر:(ولأمة كانت إلى ما شاء خالقها سريعة) إيحاء يبرز ويؤكد جانب المشيئة مع أسبابها، فالأمة سعت سعيا حثيثا لما حدث، وذلك بأفعالها.

وقال في موضع آخر يرثي الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عام 552هـ ويدور حول نفس المعاني وهي نفاق أهل الكوفة، وتصوير مشهد المعركة، والتلهف على قتلى آل البيت، ووصف بني أمية بالخيانة[1]:

فكـــــأنهمْ آلُ النبـــــيِّ ... وقـــــدْ أبـــــادهُمُ اللعـــــينْ
فـــــي يـــــومِ عاشـــــوراءَ لمّـــــا ... خـــــانَهُم دهـــــرٌ خَـــــؤونْ
وغـــــدَتْ منـــــاهُمْ حـــــينَ ... عـــــزَّوا أن تصـــــيبهُم المنـــــونْ
لـــــم يقبلـــــوا عهـــــدًا لجـــــيشٍ ... للنفـــــاقِ بـــــه كمـــــينْ
ورأوا جميعًـــــا أنّ إعطـــــاءَ ... اليمـــــينِ لهـــــم يمـــــينْ
وتيقنـــــوا أن الحيـــــاةَ الظـــــنَّ ... والمـــــوتَ اليقـــــينْ
لهفـــــي علـــــى قتلـــــى أبيـــــ ... ـحَ بهـــــمْ حمـــــى الـــــدينِ المصـــــونْ
مـــــا فـــــيهمُ إلا صـــــريع ... بالصـــــوارمِ أو طعـــــينْ
غـــــدرَ الخـــــؤونُ بهـــــمْ هنـــــاكَ ... ولـــــم يـــــفِ الثقـــــة الأمـــــينْ

اتسمت هذه الأبيات بوصف حالة آل البيت دون الوصف للمعركة كسابقتها، في تشبيه للدهر بالخيانة، فقد تركهم لهذا المصاب الجلل دون دفاع؛ والشاعر هنا يجري على عادة العرب في استخدام الدهر، وهو

(1) ابن رزيك، الديوان، 157.

معروف عندهم؛ إذ يقول أبو عبيدة:"ومن شأن العرب أن يذموا الدهر عند المصائب والنوائب؛ حتى ذكروه في أشعارهم، ونسبوا الأحداث إليه، قال عمرو بن قميئة:

رمتنِي بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أدري فكيـفَ بمـنْ يرمـى ولـيس بـرامِ

ومثله كثير في الشعر، ينسبون ذلك إلى الدهر، ويضيفونه إليه، والله سبحانه الفاعل، لا رب سواه"[1] وفي هذا تواصل بين الأدب العربي في شتى عصوره، ظهر واضحا أيضا بالتأثر في القاموس اللفظي للشعراء؛ ويوافق الشاعر القاضي الجليس بن الحباب[2] الشعراء السابقين في الحسرة على ما حدث من خذلان للحسين عليه السلام وآل البيت، في تضمين للفظ القرآني مصورا ماحدث يوم كربلاء باليوم العبوس القمطرير في إشارة إلى الجزاء الطيب الذي سيناله آل البيت في الآخرة، لأن الله سيقيهم شر ذلك اليوم وهذا هو الذي قصده الشاعر من التضمين لقوله تعالى:" إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًاوالشاعر يصور ذلك فيقول[3]:

إنْ ضـــــلَّ بالعجـــــلِ اليهـــــو دُ فقـــــدْ أضـــــلكُم البعيـــــرْ
لهفـــــي لقتلـــــى الطـــــفِّ إذ خـــــذلَ المصـــــاحبُ والعشـــــيرْ[4]
وافـــــاهُمُ فـــــي كـــــربلاء يـــــومٌ عبـــــوسٌ قمطريـــــرْ

وفي بكاء ونحيب ممتزج بالسلوان قال مؤيد الدين الشيرازي[5] بعد زيارته لمرقد الحسين عليه السلام في كربلاء شاكيا لله من قتلوه عطشانا[6]:-

أنـــاجي وأشـــكو ظـــالمي بتحـــرقٍ يثيـــرُ دمـــوعي فـــوقَ خـــدي جواريـــا
لقـد زرتُ مثـوى الطهـرِ فـي أرضِ كـربلا فـدَت نفســي المقتــولَ عطشــانَ صــاديا
ففـي عشـرِ مـا نـالَ الحسـينُ بـن فـاطمٍ لمثلـــي مســـلاةٌ إذا كنـــتُ ســـاليَا

(2)القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين (ت: 671هـ)، 1384هـ - 1964م، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 172/16.

(3) عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي التميمي الصقلي، أبو المعالي، المعروف بالقاضي الجليس: شاعر أديب، من أهل مصر...كان أوحد عصره في مصره، نظما ونثرا وترسلا وشعرا " ولي ديوان الإنشاء في أيام الفائز، وعرف بالجليس لمجالسته الخلفاء الفاطميين، وكان كبير الأنف، ولهبة الله بن البدر أكثر من ألف مقطوع في وصف أنفه؛ ينظر: الزركلي: الأعلام، 16/4.

(1) الشاكري، حسين، 1418ه، علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسين الشاكري، ت: فرات الأسدي، ردمك للنشر، ط1، 196/1.

(2) الطَّفُّ: بالفتح، والفاء مشددة، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإنما سمي طفّا لأنه دان من الريف،من قولهم: خذ ما طفّ لك واستطفّ أي ما دنا وأمكن، وقال أبو سعيد: سمي الطف لأنه مشرف على العراق من أطفّ على الشيء بمعنى أطلّ، والطف: طف الفرات أي الشاطئ، والطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين ابن علي، رضي الله عنه، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية؛ الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت: 626هـ)، 1995م، معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ط2، 35/4.

(3)هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي السلماني داعي الدعاة: من زعماء الإسماعيلية وكتابها، ولد وتعلم بشيراز وكان لأبيه ثم له القيام بدعوة الفاطميين فيها، واضطر إلى مغادرتها، فخرج متنكرا إلى الأهواز (سنة 436 هـ وأقام مدة في حلة منصور. وتوجه إلى مصر، فخدم المستنصر الفاطمي، في ديوان الإنشاء، وتقدم إلى أن صار إليه أمر الدعوة الفاطمية (سنة 450) ولقب بداعي الدعاة وباب الأبواب، ثم نحي وأبعد إلى الشام، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، عن نحو ثمانين عاما، وصلى عليه المستنصر، وله تصانيف منها: المرشد إلى أدب الإسماعيلية والمجالس المؤيدية والسيرة المؤيدية، وفيها كثير من أخباره، وله ديوان شعر مطبوع، وله بالفارسية " أساس التأويل " ترجمه عن العربية، وأصله للقاضي النعمان؛ ينظر: الزركلي: الأعلام، 76/8.

(4) الشيرازي، مؤيد الدين، 1949م، الديوان، ت: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، ط1، 254.

وفي تعريض ببني أمية ونكث العهد لآل البيت ومنع الحسين من الماء قال طلائع بن رزيك واصفا من فعلوا ذلك بالسكارى الثمالى في رد للعجز على الصدر(شاربهم-شارب ثمل) لبيان المفارقة بين آل البيت وقاتليهم، ويعبر عن شدة حزنه بأن دموعه التي يسكبها لو أنهم شربوها لروتهم في دلالة على كثرة الدموع وشدة الألم[1]:

كفى الذي دخلَ الإسلامَ إذ فتكَت ... أيمانُكم ببني الزهراءِ من خللِ
منعتمُ من لذيذِ الماء شاربَهم ... ظلمًا وكمْ بكمُ من شاربٍ ثملِ
أبكيهمُ بدموعٍ لو بها شربوا ... في كربلاءَ كفتْهم سورةَ الغللِ

أما الشاعر ابن جبر[2] فيعبر عن الحالة التي أصابته بسبب هذه الخطوب والحوادث الأليمة عن طريق التصوير فكبده قد تقرحت من شدة الألم ودموعه جارية لا تتوقف، والحزن مشتعل بقلبه لا يهدأ، وزاد من العاطفة في الأبيات حسن التقسيم بين الجمل (كبدي بكم مقروحة-مدامعي مسفوحة-جوى فؤادي ذاكي)، ووفي تشخيص للأسى يعبر الشاعر عن أثر مصابه فكلما تذكره جانبه النوم وأصابه السهاد فيقول[3]:

يا آلَ أحمدَ كمْ يكابدُ فيكُمُ ... كبدي خطوبًا للقلوبِ بواكي
كبدي بكم مقروحةٌ ومدامعي ... مسفوحةٌ وجوى فؤاديَ ذاكي
وإذا ذكرتُ مصابَكم قالَ الأسى ... لجفونيَ اجتنبي لذيذَ كراكِ

وفي لهجة حماسية يدفع ابن هانئ[4] فيها للأخذ بالثأر منددا بما فعله بنو أمية جاعلا ذلك أولى من أي شيء، مصورا حالة السبي التي واجهتها نساء بيت النبوة، ذاكرا أنه ليس هناك بعد ذلك هتك لستر، مهددا بأن أخذ الثأر سيتم فإن مات خير سبط للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن ولي الثأر -يقصد المعز- لم يمت وسينتقم له فيقول[5] :

فلا حملَت فرسانَ حربٍ جيادُها ... إذا لم تزرْهم من كميتٍ وأدهمِ[6]
ولا عذبَ الماءُ القراحُ لشاربٍ ... وفي الأرضِ مروانيةٌ غيرُ أيّمِ[7]
ألا إن يومًا هاشميًا أظلّهم ... يطيرُ فراشَ الهامِ عنْ كلِّ مجثمِ[8]
كيومِ يزيدٍ والسبايا طريدةٌ ... على كلِ موارِ المِلاطِ غشمشمِ[9]
وقد غصت البيداءُ بالعيسِ فوقها ... كرائمُ أبناءِ النبيِّ المكرمِ
فما في حريمٍ بعدَها من تحرجٍ ... ولا هتكُ سترٍ بعدَها بمحرمِ
فإنْ يتخرمْ خيرُ سبطيْ محمدٍ ... فإنَّ وليَّ الثارِ لم يتخرمِ[1]

(5) ابن رزيك، الديوان، 118.
(6)أحد شعراء مصر على عهد الخليفة المستنصر؛ ينظر الأمين، أعيان الشيعة، 63/4.
(1) الأميني، عبدالحسين، 1994، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 317/4.
(2) محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة: أشعر المغاربة على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، وكانا متعاصرين، ولد بإشبيلية...اتصل بالمعز لدين الله وأقام عنده في (المنصورية) بقرب القيروان، مدة قصيرة. ورحل المعز إلى مصر بعد أن فتحها قائده جوهر، فشيعه ابن هاني وعاد إلى إشبيلية فأخذ عياله وقصد المصر، لاحقا بالمعز، فلما وصل إلى (برقة) قتل فيها غيلة، وله ديوان شعر مطبوع ومترجم للإنجليزية؛ ينظر: الزركلي: الأعلام، 130/7.
(3) الأندلسي، محمد بن هانئ، 1400ه-1980م، الديوان ، ت:كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ، 313.
(4) الكميت تصغير أكمت وهو وصف للجواد، والأدهم هو الحصان الأسود.
(5) الأيم هي الأرملة التي مات زوجها.
(6) المجثم هو مكان الجثوم ومحطه.
(7) الموار هو المثير للتراب، والمِلاط هو الإسمنت أو الرمل إذا خلط بالماء للبناء، والغشمشم هو كثير الظلم.

إن أبيات ابن هانئ الحماسية السابقة تبدأ بدعاء على كل من يتكاسل عن نصرة آل البيت، ويترك ثأرهم دون أن يسعى لأخذه، بل إن الشاعر يدعو إلى قتل رجال كل بني مروان جزاء وفاقا لما فعلوا في آل البيت، وقد استخدم الشاعر دلالة الإضافة في التشبيه(كيوم يزيد) ليبين ظلم يزيد بن معاوية لأنه كان الخليفة آنذاك، وفي استخدام بديع للصورة الفنية يعبر ابن هانئ عن ارتباك الصحراء حين سار عليها نساء بيت النبوة وهن أسارى، وأن كل هتك حرمة بعد ذلك لم يعد محرما وتلك مبالغة يوضح من خلالها فداحة هذا الفعل، وفي استخدام للجناس بين الفعل يتخرم بمعنى يقتل والفعل يتخرم أي لم يسكن قلبه يؤكد الشاعر على أن نسل آل البيت باق وسيأخذ بثأرهم في إشارة للخلفاء الفاطميين.

وأرى أن شعر ابن هانئ قد اتخذ مسارا غير الذي اتخذه الشعراء الفاطميون الذين تناولوا عاشوراء، فابن هانئ يتناول عاشوراء من منطلق حماسي لا يكتفي فيه بتصوير ما حدث في معركة كربلاء، والحسرة على ذلك والتباكي، بل يحض على الأخذ بالثأر لهم، وقد اشتركت أبيات ابن هانيء مع أبيات عبدالمحسن الصوري في الحديث عن النسل الفاطمي ومكانته؛ هنا للثأر وهناك للسلوى، لكن أبيات ابن هانئ جاءت قوية في معانيها لأنها جمعت بين عدة معان لا معنى واحد.

يظهر مما سبق أن عاشوراء كمناسبة دينية ألهمت الكثير من الشعراء، فصوروها وجسدوا الحدث وعايشوه، واتخذوا من ذلك وسيلة للتقرب من الخلفاء الفاطميين، حيث جعلوهم بقية ذلك النسل، وأولياء الدم والثأر، وكرروا معاني الوله والحزن لما أصاب الحسين وأصحابه.

المولد النبوي:-

كان الفاطميون أول من احتفلوا بالمولد النبوي، وكانت مظاهره تتجلى في تجهيز الأطعمة والفواكه النادرة والحلوى الكثيرة حيث "يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها، وتعبى في ثلثمائة صينية من النحاس... فتفرّق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب."[2]

ومن الناحية الأدبية فقد وجدت المدائح النبوية في العصر الفاطمي؛ لكني لم أجد فيما اطلعت عليه أن تلك المدائح قد قيلت في مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي، وكانت المدائح النبوية تسير في اتجاهين أولهما الاتجاه الصوفي الذي اتسعت دائرته نتيجة للانقسامات والقلاقل السياسية، والثاني هو الاتجاه الذي اتخذه الشعراء الفاطميون، ويدور في معظمه حول مدح الخلفاء الفاطميين، لأنهم آل البيت، وذلك لخدمة المآرب السياسية، وكان من البواعث على شعر المديح النبوي آنذاك اشتعال الحروب الصليبية،"فكان لابد من أن يدافع الشعراء عن دينهم، وعن صاحب هذا الدين، رسول الله صلى الله عليه وسلم...فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء في الشعر الذي مدح به الخلفاء الفاطميون، لأنهم يرجعون بنسبهم إليه"[3] وكان هناك الأشراف الذين ينحدرون من نسل النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول طلائع بن رزيك[4]:

(8)يتخرم: يتسلط بالظلم والحمق أو يسكن قلبه.
(1) المقريزي، الخطط المقريزية، 333/2.
(2) محمد، محمود سالم، د.ت، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، 107/1.
(3) الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، 2/1.

لا تبــكَ للجيــرةِ الســارينَ فــي الظعــنِ ولا تعــرجْ علــى الأطــلالِ والــدمنِ
وتــبْ إلــى اللهِ واستشــفعْ بخيرتِــه مــن خلقِــه ذي الأيــادي البــيضِ والمــننِ
محمــدٌ خــاتمُ الرســلِ الــذي ســبقتْ بــــه بشــارةُ قــسٍ وابــنِ ذي يــزنِ
الكامــلُ الوصــفِ فــي حلــمٍ وفــي كــرم والطــاهرُ الأصــلِ مــن دانٍ ومــن درنِ
ظــلُّ الإلــهِ ومفتــاحُ النجــاةِ وينبــ ــوعُ الحيــاةِ وغيــثُ العــارضِ الهــتنِ
فاجعلّــه ذخــرَك فــي الــدارينِ معتصــمًا لــه وبالمرتضــى الهــادي أبــي الحســنِ

يتحدث الشاعر عن فضل النبي صلى الله عليه وسلم وحبه وينصح قارئه أو الذي ينظم الشعر ألا يبكي على الأطلال، وأن يسلك طريقا أفضل وهو مدح النبي صلى الله عليه وسلم صاحب كل فضل، وهذا تأثر بجانب التجديد في الشعر في العصر العباسي، ويشير الشاعر إلى ما أثر عن قس بن ساعدة وسيف بن ذي يزن إذا بشر كلاهما بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأما قس بن ساعدة فقد روي أنه قال:" أقسم قسّ قسما بالله، إن لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا"[1]، وأما بشارة سيف بن ذي يزن، فيروى أن لاقى عبدالمطلب جد الرسول، وبشره بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ونصحه أن يكتم هذا الخبر، وأنه إن كان حيا وقت مبعثه ليؤيدنه تأييدا كبيرا.[2]

ثم يمضي الشاعر في ذكر أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، في حسن تقسيم بين الجمل (ظل الإله-مفتاح النجاة-ينبوع الحياة) ليبين الغاية التي بلغها النبي صلى الله عليه وسلم في كمال الحلم والكرم والطهر، وأنه مفتاح النجاة لمن آمن به، والغيث الذي روى الدنيا بعد طول انقطاع، وعلى الإنسان أن يتخذه ذخرا، ويليه في ذلك على بن أبي طالب، فالشاعر يريد أن ينفذ من خلال مدح النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدح علي رضي الله عنه ثم أولاده أي العلويين-الفاطميين- ويسير على نفس النهج الشاعر مؤيد الدين الشيرازي فيمدح النبي صلى الله عليه وسلم أصلا ونسبا ونبتا ومكانة، ثم يجعل باب الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب، في دعوة غير مباشرة إلى حب الفاطميين وموالاتهم فإليه يرجع نسبهم؛ فيقول:[3]

وهــذا رســولُ اللهِ أفضــلُ مرسَــل ولــيسَ يطيــقُ النــاعتونَ لــه نعتــا
ومــن هــو خيــرُ الخلــقِ أصــلا ومحتــدًا وأكــرمهُم نفســاً وأطهــرُهم نبتــا
أقــامَ عمــودَ الــدينِ والرشــدِ والهــدى وحــتَّ ســنام الكفــرِ بــالحقَّ فانحتّــا
وأحمــدُ بيــتُ النــورِ لا شــكَّ بابُــه أبــو حســنٍ والبيــتُ مــن بابِــه يــؤتى

أما الشاعر عبدالمحسن الصوري فيمدح آل بيت النبي ويقول إن حبهم هو عدته لوفاته، وعليهم يعول في نجاته وفوزه، ويجعل صفاتهم من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، فالحوض موردهم، كما أنهم عون لمن طلب العون، وهم الحجة التي في الأرض، وإن قال غيرهم سوى ذلك؛ في إشارة إلى العباسيين الذين ينكرون حق الفاطميين في الخلافة، بل يطعنون في نسبهم حيث يقول[4]:-

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، 1418هـ -1988م، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، /254.
(2) ينظر الخبر بطوله في ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، : البداية والنهاية،402 ، 1408هـ - 1988م، ت:علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، ، 404/4.
(3) الشيرازي، الديوان، 293.
(4) الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، 304.

فهـــلْ تـــركَ البـــينُ مـــن أرتجيـــهِ ... مـــــن الأولـــــينَ أو الآخرينَـــــا
ســـوى حـــبَّ آلِ نبـــيَّ الهـــدى ... فحبـــــــهُمُ أمـــــلُ الآملينـــــا
هـــمُ عـــدتى لوفـــاتِي هـــمُ ... نجـــاتي هـــمُ الفـــوزُ للفائزينـــا
هـــمُ مـــوردُ الحـــوضِ للـــواردينَ ... وهـــمْ عـــروةُ اللهِ للـــواردينَ
هـــمُ عـــونُ مـــن طلـــبَ الصـــالحاتِ ... فكـــنْ بمحبـــتهمُ مســـتعينَا
هـــمُ حجـــةُ اللهِ فـــي أرضِـــه ... وإنْ جحـــدَ الحجـــةَ الجاحـــدونَ

يركز الشاعر على مكانة آل البيت النبوي بتكرار ضمير الغائب الذي يفيد التأكيد على المكانة العالية لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

ويلاحظ من الأبيات السابقة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أن الشعراء الفاطميين كانوا يتخذون من المديح النبوي وسيلة لإثبات الولاية والوصاية لعلي رضي الله عنه ومدح الخلفاء الفاطميين، بل إنهم يضفون عليهم من صفات النبوة، وإن شعرهم"يظهرعلى جانب كبير من المبالغة والتطرف عند من لا يدين بشرعتهم، فهم رفعوا الخلفاء فوق مستوى البشر"[1] لكنهم في الأصل يعتمدون الفلسفة التأويلية في تفسير الأمور تبعا للتأويل الظاهر والباطن.

شهر رمضان:-

احتفل الفاطميون بشهر رمضان، وكانت لذلك الاحتفال مراسمه من اجتماع في القصر الفاطمي، وتلاوة للمقرئين، وتوسعة على العوام من خلال عمل فطرة الصوم لتوزيع صنوف الحلوى، والكثير من الأموال، وقد ذكر المقريزي عند حديثه عن الأيام التي اتخذها الفاطميون مواسم حجم ما كان يبذله الفاطميون.[2]

يتضح مما سبق أهمية المراسم التي كانت يستقبل بها شهر رمضان، وأثرها في الناحية الاجتماعية، فقد استطاع الفاطميون أن يتخذوا من تلك المواسم سبيلا لبناء الجسور بينهم وبين العامة من خلال التوسعة عليهم، ونشر البهجة لاستقبالها، يقول في ذلك عمارة اليمني[3]:

وفطـــرةُ الصـــومِ إذ صـــحَّت مكـــارمُكم ... تشـكو مـــن الـــدهرِ حيفًـــا غيـــرَ محتمـــلِ
ومـــا خصصْـــتم ببـــرٍ أهـــلَ ملـــتكُم ... حتـــى عممْـــتم بـــه الأقصـــى مـــن الملـــلِ

فالشاعر يؤكد على أن الفاطميين لم يخصوا المسلمين فقط بفطرة الصوم، بل عم فضلهم بقية الملل الأخرى.، وهذا يدل على تسامحهم.

وجدير بالذكر أن الفاطميين فسروا رؤية الهلال بإعلان التهيؤ لاستقبال شهر رمضان، بل جعلوا قول النبي الكريم «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» أنها رؤية استبصار لا رؤية إبصار"[4]وكان هذا الأمر من الاختلافات بين السنة والشيعة.

(1) محمد، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، 107/1.
(2) ينظر:المقريزي، الخطط المقريزية بتصرف، 439/2، ينظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، 171-176.
(3) الصفدي، صلاح الدين،(ت: 764هـ)، الوافي بالوفيات، 1420هـ- 2000م، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، د.ط، 17/ 369.
(4) حسين، محمد كامل،2015، في أدب مصر الفاطمية، مراجعة: محمد زينهم محمد عزب، كنوز للنشر والتوزيع، ط1، 34.

وقد تفاعل الشعراء الفاطميون مع هذه المناسبة الطيبة متخذين منها وسيلة لمدح الخلفاء الفاطميين والقرب منهم حيث يقول ظافر الحداد[1]:-

هَنـــاكَ الفخـــرُ يـــا شـــهرَ الصـــيامِ بقـــربِ الآمـــرِ الملـــكِ الهمـــامِ
فحســـبكَ منـــهُ منزلـــةً ومجـــدا زيـــارةُ مـــرةٍ فـــي كـــلِّ عـــامِ
لَلَيلـــةُ قـــدرِكَ الغـــراءُ تحكـــي طريقـــةَ قـــدرِه بـــينَ الأنـــامِ
وكُـــلٌّ جَـــلَّ عـــنْ شـــبهٍ ومِثـــلٍ وفـــاقَ عـــنِ المطـــاولِ والمســـامي

إن الشاعر في الأبيات السابقة يمجد الخليفة لدرجة ترفعه إلى تهنئة شهر الصيام به؛ وهذه مبالغة منه يعبر من خلالها عن علو قدر الخليفة، فقد كان من الممكن أن يقول[2]:

هنـــاءُ الآمـــرِ الملـــكِ الهمـــامِ دُنـــوَّ الخيـــرِ فـــي شـــهرِ الصـــيامِ

لكنه عدل عن ذلك ليجعل الشرف والفخر لشهر رمضان بزيارته للخليفة كل عام، وهو معنى يتردد في شعر ظافر الحداد؛ حيث يقول في موضع آخر[3]:

شـــهرُ الصـــيامِ بـــك المهنّـــا إذْ كـــانَ يشـــبهُ منـــكَ فنّـــا
مـــا ســـارَ حـــولًا كـــاملًا إلا ليســـرقَ منْـــك معنـــى

ونفس المعني ذكره عمارة اليمني في قوله[4]:

وقفّنـــا فهنأنـــا الصـــيامَ بعاضـــدٍ ســـناهُ مـــدى الأيـــامِ لـــيسَ بخـــابِ

ولا يكتفي ظافر بذلك بل يقوم بتشبيه أشبه بمعادلة طرفيها الخليفة وشهر رمضان، فكما أن في رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ولا مثيل لها في العام كله، فكذلك تفرد الخليفة بين الناس جميعا بالفضل والخير والتشريف، فلا أحد يباريه أو يجاريه، وهنا يستلهم الشاعر قول الصنوبري الشاعر العباسي:

أنـــتَ فـــي النـــاسِ مثـــلُ شـــهرِك في الأشهرِ بلْ مثلُ ليلةِ القدرِ فيهِ[5]

أما تميم بن المعز فيقيم موازنة بين شهر رمضان وبين الخليفة العزيز مهنئا إياه فيقول:[6]

لـــئن كـــان شـــهر الصَّـــوْمِ أفضـــلَ حولِـــهِ ففَضْـــلُك فـــي أبنـــاء جنســـك أفْضـــلُ
وإن تـــك فيـــه ليلـــة القـــدر إنهـــا لَفِيـــكَ معانيهـــا التـــي تُتـــأول
وحســـبُك أنّ الصـــائمين لـــه إذا طَـــوَوْا عنـــك فِيـــه النصـــح لـــم يُتَقَبَّلـــوا
فهُنِّيتـــه شـــهراً وعُمِّـــرت مِثلَـــه ثمـــانين حـــولاً تُرْتَجَـــى وتُؤَمّـــلُ
أنـــارت بـــك الأيـــام حتـــى كأنهـــا دُجـــىً أنـــت صـــبح فـــي أعاليـــه مقبِـــلُ
فلِلمجـدِ منـك السـعي فـرض ولِلهـدى وللجـود حـتم مـا تقـول وتفعـل
ولـــو لـــم نُجِـــد فيـــك المـــديح منظمـــاً لأغنـــاك عـــن ذاك القُـــران المنَـــزَّلُ

(5) الحداد، ظافر، 1975م، ت: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 209.
(1) البيت من نظمي معارضة لقول الشاعر.
(2) الحداد، الديوان، 225.
(3) اليمني، عمارة بن علي بن زيدان، 1897م، النكت العصرية، ت: هرتويغ درنُبرغ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس، د.ط، 168/1.
(4) الصنوبري، أبو بكر، 1998م، ت:إحسان عباس، ط1، دار صادر-بيروت،لبنان، 464.
(5) الفاطمي، الديوان، 315.

وصـــلّى عليـــك الله يـــا خَيْـــرَ خَلقِـــهِ ومَـــنْ هُـــو هَـــدْيٌ لِلأنـــامِ وموئِـــلُ

يبدأ تميم أبياته بإعلان فوز الخليفة العزيز في المقارنة التي عقدها، ففضله على الناس فاق فضل رمضان على سائر الشهور، ويسوق مبرراته التي جعلته يختار ذلك، فإن كانت ليلة القدر أفضل ليلة في رمضان، فإن الخليفة قد حوى في شخصه معانيها، والشاعر يريد بذلك مدح مقام الخليفة، وهذا يعتمد على العقيدة التأويلية ونظرية المثل والممثول عند الفاطميين؛ فمدار الأمر عندهم يعتمد على تأويل كل أمر بالمقتضى الذي يفخم الخليفة، ويضيف أنه إذا كان إخفاء أمر صيام المسلم عن العامة أمرا مستحبا وأتم ثوابا، فإن إخفاء السمع والطاعة والنصح للخليفة يعد قدحا في الإيمان؛ وهذا معنى حديث جرير بن عبدالله البجلي الذي جاء فيه:"بايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ" [(1)]، وكأن الشاعر استحضر معنى قول الشافعي[(2)]:

يـــا آلَ بيـــتِ رســـولِ اللهِ حـــبكمُ فـــرضٌ مـــن اللهِ فـــي القـــرآنِ أنزلَـــهُ
يكفـــيكمُ مـــن عظـــيمِ الفخـــرِ أنكـــمُ مـــنْ لـــمْ يصـــلِّ علـــيكمْ لا صـــلاةَ لَـــهُ

إن تميما في أبياته السابقة يجعل مناط قبول العبادات من المسلم؛ حب آل البيت والسمع والطاعة لهم، وهذا ما يقوم عليه مبدأ الإمامة في العقيدة الشيعية، فطاعة الخليفة وهو الإمام مطلقة، كما أنه حجة الله على عباده، ويؤيد هذا المعنى ما ذكره تميم نفسه في موضع آخر حين قال[(3)]:

مـــن لـــم يكـــنْ فـــي صَـــوْمِه مُتَقَرِّبـــا بـــك للإلـــهِ فَصَـــوْمُه لـــم يُقْبَـــل

وينتقل لتهنئة الخليفة بشهر رمضان داعيا له بطول العمر في إشارة لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وتعدل ثمانين حولا ونيفا، ثم يجعل أثر الخليفة في المجتمع كضياء الصباح على الدنيا، وفي مبالغة يمجد الشاعر قول وفعل الخليفة فيجعلهما سبيلا للهدى، ويختم الشاعر باعتذار للخليفة إذا كان مدحه لا يسامي قدره، ففيما نزل في القرآن الغنى والكفاية في تلميح لقول الله عز وجل ﴿*إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا*﴾[(4)] حيث يرى الشيعة أن أهل البيت المذكورين في الآية هم أصحاب الكساء حصرا؛ والكساء هو مصطلح إسلامي يقصد به مجموعة من أهل بيت النبي محمد، هم ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب، والحسن والحسين حيث جمعهم تحت الكساء في الحديث الذي جاء فيه "خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال :﴿*إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا*﴾"[(5)]

وقال عمارة اليمني يمدح الأمير نجم الدين جمال الملك أبا علي موسى بن المأمون ويهنئه بشهر رمضان، ذاكرا كرمه وداعيا له ببلوغ مناه، وتضاعف بركات رمضان عليه[(6)].

(1) البخاري، صحيح البخاري، 106/2.
(2) الشافعي:، محمد بن إدريس، د.ت، (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس)، ت: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا-القاهرة1، 121.
(3)الفاطمي، الديوان، 344.
(4)الأحزاب، آية 33.
(5) النيسابوري (ت: 261هـ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري ، د.ت، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1883/4.
(6) اليمني، النكت العصرية، 271/1.

يـــا موقـــداً نـــارَ القـــرى للســـاري ومشـــيبَ جـــذوتِها بكـــلّ منـــارِ
بلّغـتَ مـا ترجـوه مـن نيـلِ المنـى وتنـــافسِ الأخطـــارِ والأوطـــارِ
وتضـــاعفَت أبـــدا عليـــك ولا انقضَـــت بركـــاتُ هـــذا الصـــومِ والإفطـــارِ

يلاحظ مما سبق أن الشعر الذي تناول مناسبة شهر رمضان كان في غالبه وسيلة لمدح الخلفاء والوصول إليهم، وظهرت فيه بعض أصول العقيدة الفاطمية لتمجيد الخليفة وتعظيمه، بل لقد طغت تلك المعاني على ذكر فضائل الشهر إلا في مواضع مقارنة مكانة الخلفاء بمكانة الشهر الفضيل.

الحج:-

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وله مكانة عظيمة فيه حيث يتساوى فيه الغني والفقير، وتتوحد جميع الأنسجة مهما اختلفت، وكان الفاطميون يولون اهتماما كبيرا للحجاز ولشعيرة الحج [1] وكانت كسوة الكعبة تصنع في مصر بيضاء اللون، كما كانت قافلة الحج تتكلف الكثير من الأموال، والنفقات "ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول"[2]، وقد عبر الشعراء في العصر الفاطمي عن تلك المناسبة، فعمارة اليمني يقول مادحا الملك الناصر العادل بن الصالح[3] ويشكره على ما فعله في الحج[4]:

وقـــد جمعـــتْ فيـــك الســـيادةُ كلهُّـــا وغصـــنك مـــن مـــاءِ الشـــبابِ رطيـــبُ
فمـــا شـــيمةٌ للمجـــدِ إلا وقـــدْ غـــدا لهـــا منْـــك حـــظٌ وافـــرٌ ونصـــيبُ
وأوجبـــتَ فـــرضَ الحـــجّ بعـــد ســـقوطِه فأضـــحى لـــهُ بعـــدَ الســـقوطِ وجـــوبُ
وكـــان لبيـــتِ اللهِ فـــي كـــلّ موســـمٍ عويـــلٌ علـــى زوّارهِ ونحيـــبُ
ينـــادي ملـــوكَ الأرضِ شـــرقاً ومغربـًــا ألا ســـامعٌ يـــدعي بـــه فيجيـــبُ
فلمـــا أتـــت أيامُـــك البـــيضُ لا انقضَـــتْ ولا خاطبتهـــا للزمـــان خطـــوبُ
بـــذلت عـــن الوفـــدِ الحجـــيجِ تبرُّعـــا مواهـــبَ لـــم يســـمحْ بهـــنّ وهـــوبُ
ســـبقتَ بهـــا أهـــلَ العـــراقِ وغيـــرَهم وأنـــتَ إلـــى كســـبِ الثـــوابِ وثـــوبُ
تركـــت بهـــا فـــي الأخشـــبين نضـــارةً وكـــان بوجـــهِ الأخشـــبينِ شـــحوبُ

يسبغ الشاعر في الأبيات السابقة صفات السيادة على ممدوحه، مضمنا بيته قول المخبل السعدي"من ماء الشباب رطيب"[5] في دلالة على النشاط والهمة العالية التي تمتع بها الممدوح، ثم يذكر الشاعر بعد ذلك أن ممدوحه قد جمع من المجد شمائل كثيرة، ومنها إعادة السماح للناس بالحج في إشارة تاريخية لما كان يحدث في العصر الفاطمي من عدم السماح بذلك للاضطرابات التي كانت تحدث في الطريق خلال الرحلة، فقد ذكر ابن جبيرأن أهل عيذاب كانوا يخدعون الحجاج ويسرقون أمتعتهم،

(1) للمزيد ينظرالمقريزي، الخطط المقريزية،417/1.
(2) السابق، 440/2.
(3) رزيك بن طلائع بن رزيك: وزير عراقي الأصل، نشأ بمصر في بيت أبيه (الصالح ابن رزيك) وولي أبوه الوزارة للفائز الفاطمي (سنة 549 هـ ثم للعاضد (سنة 555 هـ ودست عمة العاضد من قتل الصالح، وكان العاضد صغير السن فحلف أنه برئ من مقتله واستوزر (رزيك) بعد أبيه (سنة 556 هـ) فكان أول ما باشره هذا قتل عمة العاضد وشركائها في قتل أبيه، وعزل (شاور بن مجير السعدي) والي قوص، فثار عليه هذا، وضعف رزيك عن لقائه، فاعتقله شاور وقتله في محبسه بحجة أنه أراد الهرب؛ ينظر: الزركلي، الأعلام، 20/3.
(4)اليمني، النكت العصرية، 166/1.
(5)االدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276هـ)، 1423هـ، دار الحديث-القاهرة، 410/1.

ويأخذون منهم الكثير من الضرائب على ما يحملون من أمتعة[1]ويؤيد ذلك ما ذكره الشاعر مما كان يصيب زوار بيت الله من الأعراب والسطو والقتل، فبذل العادل ابن رزيك ما أمنهم حتى سبق في ذلك الخلافة العباسية، وظهر أثر فعله الطيب وصداه على جبلي مكة الأخشبين[2]وهذا يدل على الأمان الذي حل بما بذله.

ومما يتصل بالحج فقد أولى الفاطميون عناية فائقة بإمارة الحجاز فقد كانوا يقومون بصنع كسوة الكعبة وإرسالها وكانت إمارة الحج تحت حكمهم زمنا، ومن مظاهر اهتمامهم بهذا عمل الشمسية لبيت الله الحرام، ويسجل ذلك تميم بن المعز شعرا فيقول[3]:

وحبـــذا الشمســـةَ التـــي نصـــبَتْ	**يقصـــرُ عنهـــا المـــديحُ والخطـــبُ**
قايســـتِ العيـــدَ وهـــي حلتـــهُ	**وأخفـــتِ اليـــومَ وهـــوَ منتصـــبُ**
ينهـــبُ ياقوتُهـــا العيـــونَ فمـــا	**يكمـــلُ إلا مـــن حيـــثُ ينتهـــبُ**
دائـــــرةٌ أحـــــدقَت بغرتِهـــــا	**أهلـــــةَ لا تجنّهـــــا الســـــحبُ**
كأنمـــــا درُّهـــــا وجوهرُهـــــا	**نجـــومُ ليـــلٍ ســـماؤُها ذهـــبُ**
نظمتهـــــا للهـــــدى ولبتـــــهُ	**وإن ســـخطّن الكواعـــبُ العـــربُ**
حـــقّ علـــى الشـــمس طـــولُ نقبتِهـــا	**منهـــــا وذاتُ الحيـــــاءِ تنتقـــــبُ**
وقـــــد أراهـــــا ولا مـــــدامَ بهـــــا	**فكيـــف قـــالوا لـــدرها الحبـــبُ**
فـــي كبـــدِ المســـجدِ الحـــرامِ لهـــا	**شـــوقٌ وللبيـــتِ نحوهـــا طـــربُ**
فـــــلا تَمَشـــــى بأهلـــــهِ زمـــــنٌ	**إلا بمـــــا تشـــــتهي وترتقـــــبُ**
صـــلى عليـــك الإلـــه مـــا طلعَـــت	**شـــمسٌ ومـــا انهـــلَّ عـــارضٌ لجـــبُ**

يصف الشاعر في الأبيات السابقة الشمسية أو المظلة التي أنشأها المعز لدين الله الفاطمي لبيت الله الحرام، ويقول إن المديح والخطب لا يصفان جمالها، فقد أضفى جمالها للعيد جمالا، ومن طولها وارتفاعها واستقامتها بدا اليوم في كنفها مختفيا، ويشير الشاعر إلى الياقوت الذي يزينها، ويشبهها بالسماء ويجعل درها كالنجوم في صورة بديعة تتراءى للناظر، ويجعلها كالفتاة المنتقبة الحيية التي تحتجب فلا يراها أحد، ويعبر الشاعر عن اشتياق ساحة البيت الحرام لها، ويختم أبياته بالدعاء للمعز.

ومن المثير للدهشة في هذا السياق أمران:

أولهما: أنه مع اهتمام الفاطميين بقافلة الحج، والسعي للحصول على الزعامة الدينية لبلاد الحجاز، حتى نالوها فترة من الزمن، إلا أن المصادر التاريخية ذكرت عدم حج أي خليفة من خلفائهم، "مع أن الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، والشيعة لا ينقضون ركنا من هذه الأركان"[4].

والثاني: ما ذكره المقريزي من أنه" كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب في كل سنة على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة، وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج للحج على سبيل الهزء

(6) ابن جبير، محمد بن أحمد (ت: 614هـ)، د.ت، رحلة بن جبير، -دار ومكتبة الهلال-بيروت، 44.
(1) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة، وتارة إلى منى، وهما واحد، أحدهما: أبو قبيس، والآخر قعيقعان؛ الحموي،معجم البلدان، 122/1.
(2) الفاطمي، الديوان، 56.
(3) المقريزي، تقي الدين،1955م، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تقي الدين المقريزي، ت: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي-القاهرة، ، 12.

والمجانة ومعه الخمر في الروايا عوضا عن الماء، ويسقيه الناس، وقال أبو الخطاب بن دحية، وخطب لبني عبيد ببغداد أربعين جمعة، وذلك للمستنصر، بل للبطال المستهتر، أنشده العقيليّ صبيحة يوم عرفة:

قـمْ فـانحرِ الـراحَ يـومَ النحـرِ بالمـاءِ ... ولا تضـــحّي ضـــحىً إلّا بصـــهباءِ
وأدركْ حجـيجَ النـدامى قبـلَ نفـرهمُ ... إلـى منًـى قصـفهُم مـع كـلّ هيفـاءِ

ووَصل ألف القطع للضرورة، وهو جائز، فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهي وتساق، حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق، فأقام بها سوق الفسوق على ساق، وفي ذلك العام أخذ الله وأخذ أهل مصر بالسنين، حتى بيع القرص في أيامه بالثمن الثمين"[1].

وهذا إن صح فإنه يدل على شطط من المستنصر، وإن تفسير هذا الأمر يجعل الباحث في حيرة، حيث لا يستطيع أن يحدد مدى طبيعة هذا الأمر، هل كان مقتصرا على المستنصر وحده، أم مثل رمزا عند الخلفاء الفاطميين جميعا[2].

وأيا كان الأمر فإن ذلك لا ينفي اهتمام الفاطميين بقافلة الحج، وما كانوا يبذلونه في سبيل ذلك.

التهنئة بالأعياد الإسلامية:-

للأعياد في الإسلام مكانة عظيمة، فهي تعد مكافأة للمسلم على أداء الطاعات، وفيها تترابط أواصر القربى وتتقوى الصلات الاجتماعية، وفي العهد الفاطمي وجدت مراسم كثيرة لعيدي الفطر والأضحى، أما عيد الفطر فإن مجيئه بعد قضاء شهر رمضان قد جعله بمثابة الجائزة للصائمين، وقد استغل الشعراء هذه المناسبة لتهنئة الخلفاء ومن والاهم من طبقة الخاصة، فهذا تميم بن المعز يهنئ أخاه الخليفة العزيز قائلا[3]:

لـئن أتـى العِيـد مِـن لُقيـاكَ فـي فَـرحٍ ... لقـد مَضَـى الصـومُ مِـن منـآك فـي ثَكـل
بـرزتَ فيـه بـروزَ الشـمسِ طالعـةً ... وقـد أعـاد الضَّـحاءُ النّقْـعَ كالطّفْـل[4]
والبـيضُ تَزْهَـرُ والأعـلامُ خافقـةً ... والأرضُ فـي رَهَـج والجـوُّ فـي زَجَـلِ
فلـيس يَصْـرِف لحـظَ العـين مُرْسِـلُه ... إلاّ إلـى سـابحٍ فـي الأرض أو بطـلِ
والشمسُ فـوقَ مَـدارِ الجِـيشِ قـد حُجِبـتْ ... فـي جَوّهـا بمُتـون البِـيضِ والأسَـلِ[5]
حتـى بلغـتَ المُصَـلّى خاشـعاً نَسِـكاً ... خشـوعَ جَـدّك فـي أزمانِـه الأولِ
فقمـتَ فـيهم خطيبـاً مِصْـقعاً لَسِـناً ... بكـلّ مُنْفَصِـلٍ نَثْـراً ومُتَّصِـل
فَـأيُّ قلـبٍ جلِيـدٍ لَـم يـرِقَّ لهـمْ ... وأيُّ موعِظَـةٍ غَـرَّاءَ لَـم تُقَـلِ
بلاغَـة نبـوِيّ الـنّظمِ مُحْكَمُهـا ... وخُطْبَـة لـم يَنْلهـا مُهْمَـلُ الخَطَـلِ
أبنـتَ بـالحقّ مـا قـد كـان مُشْـتَبِهاً ... مـن الهُـدَى فَتَجَلّـى كُـلُّ مُشْـتَكِل
برهـانُ صِـدْقٍ شَـفَيتَ الأوليـاءَ بِـه ... وسُـقْتَه بـين رَيْـثِ القَـول والعَجَـلِ
نـالوا بمـا سـمِعوا الزّلفَـى فمـا افترقَـوا ... إلاّ وهُـمْ مـن رِضـا الرّحمـانِ فـي جُمَـلِ

(1) المقريزي، الخطط المقريزية، 289/3.
(2) ينظر: المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، 12وما بعدها.
(3) الفاطمي، الديوان، 341/3.
(4) الطفل هو مادة تتشكل على هيئة طين يصنع منه الفخار.
(5) الأسل: الرماح.

صـــــلّوا وراءَك والأَمـــــلاكُ خلفَهُـــــمُ مُبَلّغـــين لأَعَلـــى السُّـــوْلِ والأَمـــلِ

تبدأ أبيات الشاعر باستخدام آلية البعد والقرب التي سبق وجاءت في التهنئة بالصيام عند ظافر الحداد وعمارة اليمني في غير مرة، وتميم هنا يرسم لوحة فنية تصور حالة ركوب الخليفة لموكب العيد فيقول له: لإن سعد العيد بلقياك، فقد مضى الصوم فاقدا قربك، ويصف أجواء خروج الخليفة في موكبه فقد طلع كما تطلع الشمس، وأطل على رعيته بفضله كنور الشمس حين يملأ الدنيا، بل إن إشراقته كانت إيذانا لابتهاج كل ما يسير على الأرض فالسيوف تلمع، والأعلام تخفق، والأرض ترهج فرحا وطربا، والجو تملؤه الأصوات الندية، وكلها صور تشخيصية تعبر عن الألق الذي ناله الكون لظهور ذلك البطل الذي أطل بجواده فأطلت العيون تتشوفه، ويستمر الشاعر في وصف فخامة الجيش في مبالغة جعل فيها متون السيوف والرماح تحجب الشمس وذلك لكثرتها وانعكاس ضوئها في ذلك الموكب المهيب.

وينتقل الشاعر في التفات بديع لوصف حالة الخليفة حين وصل لمصلى العيد، فقد كان خاشعا عليه السكينة كخشوع جده الأول علي بن أبي طالب، وما لبث أن قام خطيبا فأفصح وأبان، ببلاغة عالية محكمة موروثة عن بيت النبوة، وفي استدعاء لمصطلحي المتصل والمنفصل قسمي (العرض) نقيض الجوهر عند الشيعة يعبر الشاعر عن قوة خطبة الخليفة وحسن تأثيرها، فقد جمع فيها بين بيان العقل ورقة القلب والترغيب والترهيب، حتى أوضح فيها كل أمر مشكل وهذا لما حواه الخليفة من بلاغة محكمة موروثة عن بيت النبوة، فما افترق الناس بعدها إلا وقد غشيتهم السكينة، حتى لقد نالوا رضا الله وحفتهم الملائكة بل صلت خلفهم كذلك.

ونفس المشهد يرسمه الشاعر عمارة اليمني في عيد الفطر حين قال يمدح العاضد ويهنئه بالعيد[1]:

تقبَّـــلَ الله صـــوماً أنـــت واصـــلهُ مـــن الصـــلاحِ بأعمـــالٍ تشـــاكله
صـــومٌ تـــولّى وقـــد أثنَـــت فرائضُـــه عليـــك خيـــرًا كمـــا أثنَـــت نوافلُـــه
إن فارقَـــت نيلُـــك الأســـنَى أواخـــرَه فقـــدْ تلقتْـــك بالحســـنى أوائلُـــه
لـــم يلـــقَ عنـــدَك غيـــرَ البـــرِّ قادمُـــه ولا تـــزودَ غيـــر البـــرِّ راحلُـــه
صـــومٌ تبســـمَ عـــن قطـــرٍ كمـــا ابتســـمَت عـــن غـــرةِ الفجـــرِ مـــن ليلـــى عياطلُـــه
ودعْـــت هـــذا وداعَ المحســـنينِ كمـــا قابلْـــت هـــذا بمـــا الـــرحمنُ قابلُـــه
لمـــا أظلـــكَ عيـــدُ الفطـــرِ وافتقـــرَت أســـماعُ قـــوم إلـــى مـــا أنـــت قائلُـــهُ
زرْتَ المصـلى ولـولا مـا خلعْـتَ علـى رحابِـــه مـــن غـــرابٍ خـــفَّ آهلُـــهُ
واهتـــزَّ شـــوقاً فلـــو يســـطيعُ منبـــرُه مـــادَت أعاليـــهِ وارتجَّـــت أســـافلُهُ
حتـــى إذا ضـــاقَ بالأشـــهاد واســـتمعَت فصـــلَ الخطابَـــة مـــن قـــربٍ محافلُـــهُ
لـــم يبـــقَ فصـــلُك فـــي الأفهـــامِ مـــن صـــدإٍ إلا وعقلُـــــك بالإفهـــــامِ صـــــاقلُهُ
عـــرفْتهم مـــن طريـــقِ الرشـــدِ مـــا جهلُـــوا حتـــى تنبـــهَ غـــاوي القلـــبِ غافلُـــهُ
وعـــدتَ نحـــو مقـــرَّ العـــزِّ فـــي لجـــبٍ كالســـيلِ فارسُـــه والليـــلِ راجلُـــهُ
مثـــل الغمـــامِ ومـــن بـــرقٍ صـــوارمُه تحـــتَ القتـــامِ ومـــن رغـــدٍ صـــواهلُهُ
ترنـــو إليـــك عيـــونُ الخلـــقِ شاخصـــةً والأجـــرُ والفخـــرُ أدنـــى مـــا تحاولُـــهُ
وفـــي المظلـــةِ وجـــهٌ لـــم يـــزلْ أبـــدا بشـــرُ القبـــولِ علـــى وجـــهِ يقابلُـــهُ
ورايـــةَ الملـــكِ والإســـلامِ يحملُهـــا لـــك اللـــواءُ الـــذي جبريـــلُ حاملُـــهُ

(1) اليمني، النكت العصرية، 310.

أشبهتَ هديَ رسولِ اللهِ حين بدَت ... على شمائِلِك الحسنى شمائلُهُ
وفي جبينك نورٌ من نبوتِه ... وشاهدُ الحقِّ لا تخفى دلائلُهُ
قد أيدَ اللهُ دِيناً أنت عاضدُه ... والناصرُ الذخرِ كافيهِ وكافلُهُ
الكاشفُ الكربِ لما عزَّ كاشفُه ... والفارجُ الخطبِ لما ضاقَ نازلُهُ
ماضي الأوامرِ إلا أن قدرتَه ... يضيقُ ذرعًا بها قدرٌ يماثلُهُ

يهنئ الشاعر عمارة اليمني الخليفة بالعيد بادئا بالدعاء بقبول الطاعات التي قدمها، ويعبر عن أعمال البر التي قام بها الخليفة، فهو ينتقل من طاعة إلى طاعة فبعد الصوم جاء العيد كما يجيء الفجر بعد الليل، ثم يرسم مشهد ذهاب الخليفة لأداء صلاة العيد، وكيف أن خطبته قد اشتاق لسماعها الناس جميعا، واهتز المنبر شوقا لرؤيته، ويمدح فصاحة الخليفة وقدرته على إرشاد الناس وحسن إفهامهم، وبعد أن خطب خطبته رجع إلى قصره محفوفا بالناس، والشاعر في هذا يذكر مراسم ركوب الخليفة في عودته كما فعل تميم قبل ذلك، حيث يصور شدة تطلع الناس لرؤيته، فجميعهم محدقون به وهو في موكبه فوقه المظلة والراية محمولة، ودلالة إضافة الراية إلى الإسلام يعبر به الشاعر عن حكم الفاطميين وإضفاء الشرعية على خلافتهم، ويظهر ذلك جليا في قوله(اللواء الذي جبريل حامله) في إشارة للوحي.

ثم يشبه الشاعر أخلاق العاضد بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنه يرى أن الخليفة قد استمد نورا من نور النبوة، وهذا المعنى يعتمد على التأويل الباطن للعقيدة الشيعية، والهدف منه تمجيد الخليفة وتعظيمه، ويستمر الشاعر في التدرج في إسباغ صفات العظمة على العاضد حتى يجعله كاشفا للكرب في اعتماد على نظرية المثل والممثول التي توضح أن الخليفة يستمد نوره من نور النبوة، وقدرته من قدرة الله عز وجل.

إن الأبيات السابقة للشاعرين تميم بن المعز وعمارة اليمني قد لخصت ما يحدث في مراسم خروج الخليفة في موكب العيد، وإن المطالع للمصادر التي ذكرت ذلك يرى أنهما استطاعا وصف المشهد بدقة بالغة.[1].

وقد اعتمد الشاعران في شعرهما على ذكر تقوى الخليفة، وفصاحته، وفخامة موكبه، وقد تلاقت أفكارهما كثيرا، بل وبعض الصور كتلك التي تصور طلعة الخليفة كطلوع الفجر، وهيئة الموكب.

عيد الأضحى:-

في الصفحات السابقة ركز الشعراء في مناسبة عيد الفطر على الدعاء بقبول الصيام، وأن العيد يكون كالجائزة، ويلتقي عيد الأضحى مع عيد الفطر في أن كليهما يأتيان بعد ركنين من أركان الإسلام هما صوم رمضان والحج ، وذلك كجائزة من الله عز وجل لعباده المسلمين، وقد تفاعل الشعراء مع ذلك، حيث يقول ابن هانئ في يوم النحر[2]:

هذا ابنُ وَحيِ اللهِ تأخُذُ هَدْيَها ... عنهُ الملائكُ بُكْرَةً وأصِيلا
ذو النّورِ تُولِيهِ مكارمُ هاشِمٍ ... شُكراً كنائِلِهِ الجزيلِ جزيلا
في مَوسِمِ النّحْرِ السَّنيعِ يَرُوقَني ... فأغُضُّ طَرفاً عن سَناهُ كَليلا
والجوَّ يَعثِرُ بالأسِنّةِ والظّبَى ... والأرضُ واجِفَةً تَمِيلُ مَميلا
والشمسُ حاسِرَةُ القِناعِ ووُدَّها ... لو تستطيعُ لتُربِهِ تقبيلا
وعلى أميرِ المؤمنِينَ غمامَةً ... شَأتْ تُظَلِّلُ تاجَهُ تَظليلا

(1) المقريزي، الخطط المقريزية، 581/3.
(2) الأندلسي، الديوان، 153.

نَهضَتْ بثقل الدُّرّ ضوعِفَ نسجُها ... فَجَرَتْ عليه عَسجداً محلولا
ذَعَرَتْ مواكبُهُ الجبالَ فأعلَنَتْ ... هَضَباتُهَا التكبيرَ والتهليلا
هذا الّذي مَلأ القُلوبَ جَلالَه ... هذا الّذي تَرَكَ العزيزَ ذَليلا
فإذا نَظَرْتَ نَظَرْتَ غَيرَ مُشَبَّهٍ ... إلاّ التِماحَكَ رايَةً ورَعِيلا
يَوْمٌ تجلّى اللهُ من مَلَكُوتِهِ ... فرآكَ في المرأى الجليلِ جَليلا
وتَحَلّتِ الدّنْيا بسِمْطَيْ دُرّهَا ... فرأيتُها شَخصاً لديكَ ضَئيلا
ولحظْتُ مَنبرَكَ المُعَلّى راجِفاً ... من تحتِ عِقْدِ الرّايَتَينِ مَهُولا
مسدولَ سِترِ جَلالَةٍ أنْطَقْتَهُ ... فرفعْتَ عن حِكَمِ البيانِ سُدُولا

بدأت أبيات ابن هانئ بإضفاء تلك الهالة النورانية على المعز في يوم النحر في تقرير يحوي دلالة الإضافة(هذا ابن وحي لله) ؛ فقد نال المكانة السامقة التي جعلت الملائكة بأنفسهم يأخذون الهدي عنه، والشاعر في هذا يسجل ما كان يحدث يوم النحر، وهو موسم أولاه الفاطميون اهتماما كبيرا في مراسمه، حيث يركب الخليفة يوم النحر، فيصلي ويخطب، ثم تنحر بعض النوق بيده، وينصرف إلى قصره، فينصب السماط، والموائد، وتفرق بعض الأضاحي على عمال الدولة من الطبقة الخاصة [1].

وابن هانئ في الأبيات السابقة يؤكد على مكانة المعز السامقة، وفي لوحتين بديعتين يصور المشهد، أما اللوحة الأولى فهي تصف أثر المعز على كل ما حوله، والشاعر هنا يستعين بمعجم الطبيعة كما هو في كثير من معزياته، فالجو كله في حالة من الرهبة، والأرض خائفة مما عليها، وتود الشمس أن لو قبلت التراب الذي يسير عليه.

وأما اللوحة الثانية فهي تصف المعز نفسه، ونورانيته وفخامة موكبه، ويتحدث عن المظلة المحمولة فوق رأس الخليفة، ولها عند الفاطميين"جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة"[2]ويشبهها بالغمامة التي تظله، ويصف جمالها وهيئتها، فنسيجها مرصع بالدر والذهب والجواهر.

وينتقل ابن هانئ للحديث عن جلال موكب المعز، إذ شعرت الجبال بالذعر منه فبدأت بالتهليل والتكبير، وكيف لا وهو الذي امتلأت القلوب بهيبته، وأذل كل عدو له بعد عز، فليس له شبيه أو مثيل، ثم يذكر أن الله عز وجل قد تجلى من ملكوته، فرأى المعز في هذا المنظر الجليل عظيما مهابا حتى لكأن الدنيا تتضاءل أمام مكانته، حتى وصل إلى مصلى العيد وصعد إلى منبره الذي انسدل عليه الستر فأصبح خلفه، لكن بيانه أفصح وكشف عن كل بيان، وابن هانئ هنا يركز على الصورة التي كان بها الخليفة على المنبر في أسلوب تقريري يهدف من خلاله لتفخيم مكانة المعز، والقصيدة طويلة جدا يسهب فيها ابن هاني في مدح المعز وتفخيمه، وقد تخيرت منها واكتفيت بالأبيات التي تتحدث عن عيد الأضحى.

ولأن الأضحية من شعائر يوم النحر، فقد كان لذكرها حضور في الشعر، إذ كان الشعراء يطمعون في عطاءات رجال الدولة منها؛ وفي هذا يقول عمارة اليمني:"وكتبت إليه في يوم عيد ولم يأتني من عنده أضحية.

يا منعِماً بنداهُ يعدمُ العدمُ ... وينجلي بهداهُ الظلْمُ والظلَمُ
وقادرا أمطرَ الدنيا ندىً وردىً ... ففاض من راحتيه البأسُ والكرمُ
هنيتَ عيداً تخطتني سحائبه ... وقد سقى الخلق منها وابلٌ رذمُ

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، 182-185.
(2) السابق، 157.

عجبــتُ كيــف تناســاني نــداك وقــد ظلــت ضــحاياك بــين النــاس تقتســم
نســيانُ مثلــي بعــد الــذكر مغضــبة إن الغنيمــة عنــدي مــا هــي الغــنم[1]

يتحدث عمارة اليمني موجها كلامه إلى الصالح بن رزيك معاتبا إياه على عدم إرسال العطايا من الأضاحي له، ويبدأ بالحديث عن كرمه ونداه، ويصفه بالهدى والقدرة التي جمعت بين الكرم والحزم، ويهنئه بالعيد، ويتعجب كيف فاتته عطاياه بعد أن كان مذكورا، ويعبر عن غضبه من ذلك لأنه يعد العطية تقديرا من الوزير له محبة لا احتياجا؛ وحول نفس الفكرة يدور عبدالمحسن الصوري، ويعبر عن أن العيد يتمثل في عطاء ممدوحه المتجدد فيقول[2]:

وقــالوا هنــاءُ العيــدِ بالعيــدِ واجــبٌ وأنــتَ بصــقعٍ واحــدٍ ومحمــدُ
فقمــتَ لهــم بالعــذرِ والحــالُ بيننــا تقــومُ بتصــديقي عليــه وتشــهدُ
عطــاؤك أخفــى العيــدَ عنــي لأنّنــي بتجديــده فــي كــلِّ يــومٍ أعيــدُ

وبذلك كان العيد مناسبة تجلت فيها الشعائر الدينية، وأداء الفروض، واتخاذ الشعراء من مدحهم سبيلا للنوال والعطايا.

المناسبات الشيعية:-

عيد الغدير:-

يعد عيد الغدير من أهم المناسبات الدينية عند الشيعة، ويكون في الثامن عشر من ذي الحجة، وتكمن قيمته عند الشيعة في كونه ذكرى تنصيب علي وليا على المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم[3]وأول الشيعة ذلك بأحقية علي في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد سجل الشعر المعاني التي دارت حولها هذه المناسبة، فانطلق الشعراء يذكرون مكانة علي رضي الله عنه في أشعارهم، واتخذوا من ذلك سبيلا لبيان أحقيتهم في الخلافة دون العباسيين، فهذا تميم بن المعز يقول[4]:

إن نكــــن ننتمــــي لجَــــدّ فإنــــا قــــد ســــبقناكُمُ لكــــلّ فخــــارِ
لــــيس عبّاسُــــكم كمثــــلِ علــــيٍّ هــــل تقــــاسُ النجــــومُ بالأقمــــارِ
مــن لــه الفضــلُ والتقــدمُ فــي الإســ ــــلامِ والنــــاسُ شِــــيعةَ الكفــــارِ
مــن لــه الصِــهْرُ والمواســاةُ والنُصْــ ــــرةُ والحــــربُ ترتمــــي بالشَــــرارِ
مــــن دعــــاه النبــــي خــــدْناً وســــمَّا ه أخــــاً فــــي الخفــــاءِ والإظهــــارِ
مــــن لــــه قــــال أنــــت مِنّــــي كهــــارو ن وموسَــــى أكــــرِمْ بــــه مــــن نِجــــارِ
ثــم يــوم الغَــدِير مــا قــد علمــتم خَصّــــــه دون ســــائر الحُضَّــــارِ
مــــن لــــه قــــال لا فتــــى كعلــــيّ لا ولا مُنْصُــــل ســــوى ذي الفَقَــــارِ
مــــن توطّــــا الفــــراشَ يُخلــــفُ فيــــه أحمــــدا وهْــــو نحــــوَ يثــــربَ ســــارِ
أيــن كــان العبّــاس إذ ذاك فــي الهجــ ــــرة أم فــــي الفــــراشِ أم فــــي الغــــارِ

(1) اليمني، النكت العصرية، 95وما بعدها.
(2) الصوري، الديوان، 128.
(3)ينظر: المقريزي، الخطط المقريزية، 254 وما بعدها.
(4)الفاطمي، ديوان تميم بن المعز، 186.

أجعلـــتم سَـــقْيَ الحجـــيج كمـــن آ ... مـــن بـــالله مؤمِنـــاً لا يـــداري
أو جعلـــتم نِـــداء عبّـــاس فـــي الحـــر ... ب وقـــد فَـــرَّ عـــن لقـــاء الشِـــفَارِ
لا تُغَطّـــوا بحـــيفكم واضـــح الحـــ ... ـــقِّ فيُفْضِـــي بكـــم لكـــلّ دَمَـــارِ
حُجَـــج كلّمـــا تأمّلهـــا العـــا ... لـــمُ بانـــت لـــه بيـــانَ النهـــارِ

استهل تميم أبياته بموازنة بين العباس وعلي ليبين من خلال ذلك مقررا النتيجة في البداية، جاعلا كعليا كالقمر، والعباس كالنجم، وهما لا يستويان، ويسوق مبرراته لذلك، فإسلامه يتقدم على العباس، وهو أول من آمن من الصبيان، كما أنه صهر النبي صلى الله وسلم فقد تزوج من ابنته فاطمة الزهراء، وهو من قال له النبي:"أَنْتَ مِنِي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ مُوسَى"[1]

ثم ينتقل للحديث عن يوم الغدير، ويبين تفضيل النبي لعلي رضي الله عنه، وذلك حين ذكر حديث الولاية، ويؤكد على قرب علي رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه خلفه في فراشه يوم الهجرة من مكة إلى المدينة، ويتوجه بالحديث إلى بني العباس فيقول: أين كان العباس من كل هذا؟ أتساوون سقاية الحجيج التي كانت للعباس بكل مآثر علي رضي الله عنه؛ وتميم هنا يذكر حقيقة تاريخية هي تولي العباس رضي الله عنه لأمر سقاية الحجيج، فقد ورثها عن أبيه عن جده، فقد ذكرت المصادر أنه قد تولى أمر السقاية"هاشم بن عبد مناف يسقي الحاج حتى توفي فقام بأمر السقاية من بعده عبد المطلب بن هاشم..فلبث عبد المطلب يسقي الناس حتى توفي، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فلم تزل في يده."[2]

إن تميما يعتمد في موازنته بين العباس وعلي رضي الله عنهما على بيان الصفات التي حازها كل منهما، ومكانته الدينية، ومواقفه في الإسلام، ومن ضمن المواقف التي رجحت فيها كفة علي رضي الله عنه في رأيه أنه آمن بالله جهرا، أما العباس فكان يخفي إسلامه، وبقي في مكة لينقل للنبي صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين، وليكون عونا للمسلمين في مكة، مما جعل عليا يفضله، ولذا فإن العلويين في رأي الشاعر هم الأحق بالخلافة، فعلى بني العباس ألا يزيغوا عن هذا الحق، وعليهم أن يعطوه لأهله، وأن يتفكروا في هذه الحجج الواضحة البينة، وحينئذ سيدركون أن الحق في الخلافة ليس لهم.

ولا يتوقف الأمر عند شاعر الخلافة ولسان الدولة الفاطمية تميم في اتخاذ حادثة يوم الغدير سبيلا لبيان حق الفاطميين في الخلافة دون العباسيين، بل يوافقه في ذلك القاضي الجليس بن الحباب، فيقول[3]:-

أبـــوهم وَصِـــيُّ المصـــطفى حـــازَ علمَـــه ... وأودعَـــه مـــن قبـــلُ مـــا كـــانَ أودعَـــا
أقـــامَ عمـــودَ الشـــرعِ بعـــدَ اعوجاجِـــه ... وســـاندَ ركـــنَ الـــدينِ أن يتصـــدعا
وواســـاه بـــالنفسِ النفيســـةِ دونَهـــم ... ولـــم يخـــشَ أن يلقـــى عـــداهُ فيجزعـــا
وســـماهُ مـــولاهم ْوقـــد قـــامَ معلنًـــا ... ليتلـــوه فـــي كـــلِّ فضـــلٍ ويشـــفعا
ومـــن هـــزَّ بـــابَ الحصـــنِ فـــي يـــومِ خيبـــرٍ ... فزلـــزلَ أرضَ المشـــركينَ وزعزعـــا؟

بدأت أبيات الشاعر بتقرير يؤكد فيه أن عليا هو وصي النبي صلى الله عليه وسلم، والوصاية من معتقدات الشيعة، ولأن عليا حاز مرتبة الولاية، فقد اشتملت كذلك على الوصاية، فكل ولي وصي، وليس كل وصي وليا؛ ويعبر الشاعر عن إنجازات علي رضي الله عنه، فيذكر موقفه يوم خيبر حين قال له النبي

(1)أبو داوود، سليمان بن داود أبو داود(ت: 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، 1419 هـ - 1999م، ت:الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر– مصر، ط1، 173/1.
(2)ابن الضياء، محمد بن أحمد،(ت: 854هـ)، 1424هـ - 2004م ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ت:علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط2، ، 68.
(1) الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، 385.

صلى الله عليه وسلم:"لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"[1]، ويتضح مما سبق أن عيد الغدير كان وسيلة للشعراء لبيان أحقية الفاطميين بالخلافة دون العباسيين.

الخاتمة

مثلت المناسبات الإسلامية مجالا رحبا للشعراء في العهد الفاطمي؛ إذ تباينت أحاسيسهم فيها، وانقسمت إلى مناسبات إسلامية عامة وأخرى إسلامية تختص بالمذهب الشيعي؛ وتجلت أهمية تلك المناسبات توثيق العادات الاجتماعية، وملامح الحياة الدينية والمذهبية، وبينت عدة أمور:-

- ألهمت مناسبة عاشوراء الكثير من الشعراء، فصوروها وجسدوا الحدث وعايشوه، واتخذوا من ذلك وسيلة للتقرب من الخلفاء الفاطميين، حيث جعلوهم بقية ذلك النسل، وأولياء الدم والثأر، وكرروا معاني الوله والحزن لما أصاب الحسين وأصحابه.

-من الناحية الأدبية فقد وجدت المدائح النبوية في العصر الفاطمي؛ لكني لم أجد فيما اطلعت عليه أن تلك المدائح قد قيلت في مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي، وكانت المدائح النبوية تسير في اتجاهين أولهما الاتجاه الصوفي الذي اتسعت دائرته نتيجة للانقسامات والقلاقل السياسية، والثاني هو الاتجاه الذي اتخذه الشعراء الفاطميون، ويدور في معظمه حول مدح الخلفاء الفاطميين، لأنهم آل البيت، وذلك لخدمة المآرب السياسية، وكان من البواعث على شعر المديح النبوي آنذاك اشتعال الحروب الصليبية.

-إن الشعر الذي تناول مناسبة شهر رمضان كان في غالبه وسيلة لمدح الخلفاء والوصول إليهم، وظهرت فيه بعض أصول العقيدة الفاطمية لتمجيد الخليفة وتعظيمه، بل لقد طغت تلك المعاني على ذكر فضائل الشهر إلا في مواضع مقارنة مكانة الخلفاء بمكانة الشهر الفضيل.

-اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بقافلة الحج، وكانت تسمى بالمحمل، وكانت تخرج في ذي القعدة أوله أو وسطه كما ذكر المقريزي في خططه، وكانت تحوي الكثير كما اهتم الفاطميون بإرسال كسوة الكعبة المشرفة من مصر، وكانت بيضاء اللون، وكانت قافلة الحج تتكلف الكثير من الأموال.

- اعتمد شعر الأعياد على ذكر تقوى الخليفة، وفصاحته، وفخامة موكبه، وبعض الصور كتلك التي تصور طلعة الخليفة كطلوع الفجر، وهيئة الموكب، وبذلك كان العيد مناسبة تجلت فيها الشعائر الدينية، وأداء الفروض، واتخاذ الشعراء من مدحهم سبيلا للنوال والعطايا.

-اتضح من النماذج السابق عرضها أن المناسبات الدينية كانت بوتقة لعرض الكثير من الجوانب الموضوعية الموجودة في العصر الفاطمي، من اعتماد على الجانب المذهبي والديني للتقرب من الشعب المصري، بإقامة المواسم والاحتفالات الضخمة؛ وبعث الهيبة في قلوب أعدائها، ومن ثم كان للمناسبات الدينية صداها وأثرها في الحياة السياسية والاجتماعية، والدينية والفكرية للمجتمع في العصر الفاطمي.

(2) البخاري، صحيح البخاري، 60/4.

المصادر:-

-القرآن الكريم.
- الأندلسي، محمد بن هانئ، 1400ه-1980م، الديوان ، ت:كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط.
-البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، 1418هـ -1988م، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة،د.ط.

-ابن جبير، محمد بن أحمد (ت: 614هـ)، د.ت، رحلة بن جبير، -دار ومكتبة الهلال-بيروت، د.ط.

-الحاكم، أبوعبدالله(ت: 405هـ)، 1411ه– 1990م، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم ت:مصطفى عبد القادر عطا-دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.

- الحداد، ظافر، 1975م، ت: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.

-الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت: 626هـ)، 1995م، معجم البلدان، دار صادر-بيروت، ط2.

- أبو داوود، سليمان بن داود أبو داود(ت: 204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، 1419 هـ - 1999م، ت:الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر– مصر، ط1.

-الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276هـ)، 1423هـ، دار الحديث-القاهرة.

-الذهبي، شمس الدين (ت: 748هـ)، 1427هـ-2006م ، سير أعلام النبلاء، (دار الحديث- القاهرة)، د.ط.

-ابن رزيك، طلائع، 1383ه-1964م، الديوان، جمع: محمد هادي الأميني، المكتبة الأهلية-النجف الأشرف، ط1.

- الزركلي، خير الدين (ت: 1396هـ)، (2002 م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15.

-ابن سيده(ت:458هـ)، أبو الحسن علي بن إسماعيل،(1421هـ- 2000 م)، المحكم والمحيط الأعظم، ت:عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1.

- الشافعي، محمد بن إدريس، د.ت، (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس)، ت: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا-القاهرة، د.ط.

- الشيرازي، مؤيد الدين، 1949م، الديوان، ت: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، ط1.

- ابن أبي شيبة، أبو بكر،(ت: 235هـ)، 1409هـ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد– الرياض، ط1.

- الصفدي، صلاح الدين،(ت: 764هـ)، الوافي بالوفيات، 1420هـ- 2000م، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، د.ط.

-الصنوبري، أبو بكر، 1998م، ت:إحسان عباس، ط1، دار صادر-بيروت-لبنان.

- الصوري، عبدالمحسن بن محمد بن أحمد (ت:419ه)، 1401ه-1981م، الديوان، ت: مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، دار الرشيد للنشر، ط1.

- ابن الضياء، محمد بن أحمد،(ت: 854هـ)، 1424هـ - 2004م ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، ت:علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط2.

-الطبراني، سليمان بن أحمد، (ت: 360هـ)، 1415 هـ - 1994 م ، المعجم الكبير، ت:حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط2.

- ابن الطوير(ت617ه)، المرتضى عبدالسلام بن الحسن القيسراني، 1412ه-1992م، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، ت: أيمن فؤاد سيد، فرانتس شتاينر شتو تغارت؛ دار صادر-بيروت، ، ط1.

-الفاطمي، تميم بن المعز، 1957م، ديوان تميم بن المعز، ت: محمد حسن الأعظمي، دار الكتب المصرية- القاهرة.

-القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين (ت: 671هـ)، 1384هـ - 1964م، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ت:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، 1408هـ - 1988م ، ت:علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1.

- المقريزي، تقي الدين:-

-1418 هـ ، الخطط المقريزية، ، دار الكتب العلمية،-بيروت، ط1 .

1955 ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ت: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي- القاهرة، د.ط.

-ابن منظور(ت: 711هـ)، محمد بن مكرم بن علي،(1414 هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3.

-النيسابوري (ت: 261هـ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري ، د.ت، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ، ت:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط.

- اليمني، عمارة بن علي بن زيدان، 1897م، النكت العصرية، ت: هرتويغ درنُبرغ، مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن – باريس، د.ط.

المراجع:-

- الأمين، السيد محسن، 1935م، أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون-دمشق، ط1.
- الأميني، عبدالحسين، 1994، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1.

- حسين، محمد كامل،2015، في أدب مصر الفاطمية، مراجعة: محمد زينهم محمد عزب، كنوز للنشر والتوزيع، ط1.

-سلام، محمد زغلول، د.ت، الأدب في العصر الفاطمي:الكتابة والكتاب، منشأة المعارف-الإسكندرية.
-الشاكري، حسين، 1418ه، علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسين الشاكري، ت: فرات الأسدي، ردمك للنشر، ط1.

-عمر، أحمد مختار،(1429 هـ - 2008 م)معجم اللغة العربية المعاصرة،عالم الكتب، ط1.

-كاشف، سيدة، (1950م)، مصر في عهد الإخشيديين، سيدة كاشف، مطبعة جامعة فؤاد الأول-القاهرة.

-مبارك، علي، (1435ه-2014م)، الخطط التوفيقية، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة.

المواقع الالكترونية:-

-الماجد، نجاة، (4فبراير2015)، شعراء المناسبات ، mawdoo3.com.